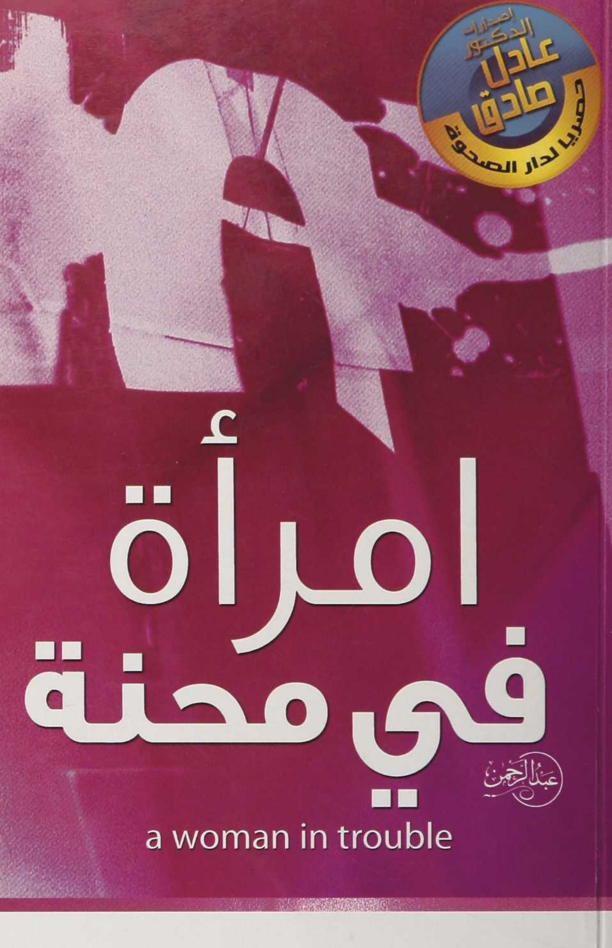
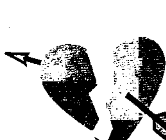


امرأة في محنة

a woman in trouble

الدكتور
عادل صادق
أستاذ الطب النفسي

امرأة في محنة



بقلم:

د. عادل صادق

أستاذ الطب النفسى

الطبعة الأولى للناشر

١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

رقم الإيداع: ٢٠٠٨/٢٠٤٥٧

الترقيم الدولي: 977-255-164-0



للنشر والتوزيع
٤٨ شارع مجلس الأمة - القاهرة
تليفاكس: ٢٧٩٤٢٥٩٤
daralshoh@gmail.com

امرأة فى محنة

الخط الأساسى لسلسلة «المرأة والطب النفسى» لا يتعرض للأمراض الشائعة والمعروفة التى تستطيع أن تراها العين المجردة بدون خبرة سابقة وبدون تعاطف خاص، وإنما يحاول أن يكشف عما هو أصعب وأعقد وأخفى . . قد لا تكون أمراضًا ولكنها مواقف وأحداث وأحوال تهزها وتحزنها وتؤلمها . . وذلك لأنها امرأة بشكل عام، وأيضًا لأنها ذات طبيعة معينة بشكل خاص .

** تنفعل المرأة بحزن خاص وتستجيب بألم غامض وتسلك بطريقة غريبة مما يستعصى فهمه على العين المجردة محدودة الخبرة ذات المشاعر المحايدة .

** لكى نصل إلى أعماق المرأة ونفهم أسرار حزنها وألمها وسلوكها نحتاج إلى عين مدققة واعية وخبرة حية ثرية وأيضًا تعاطف من نوع خاص يجعلنا قريبين من عقلها وقلبها ويجعلها قريبة منا فتسهل علينا المرور إلى داخلها .

** والمرأة أحيانًا تكون كالطفل . . فالطفل إما أن يعبر عن نفسه بشكل مباشر فيضحك أو يبكى ويصرخ ألمًا وحزنًا أو فى أحيان أخرى يكتم مشاعره وتظهر عليه أعراض أخرى فيضطرب نومه وطعامه وتوجعه بطنه أو يختل سلوكه ويسوء خلقه . .

وهكذا المرأة . . إما أن تفيض مشاعرها بشكل مباشر . . وإما عن قصد أو بدون قصد تنطوى على آلامها وأحزانها وتكتم

مشاعرها وتلجأ لا شعورياً إلى التعبير بوسائل أخرى من خلال آلام جسدها أو اضطراب سلوكها.

** فالمرأة التى تضطرب عواطفها وتشعر بالفشل والإحباط، أو التى تتعرض للقهر والنبذ، أو التى يداهمها الاكتئاب قد لا تبدو عليها أى مظاهر يدركها من حولها.. قد تبدو من على السطح طبيعية تمامًا ولكن يضطرب سلوكها اضطرابًا خطيرًا.. فتسرق أشياء لا تحتاجها، أو قد تندفع وتلتهم كميات ضخمة من الطعام، أو قد تفقد شهيتها إلى حد يهدد حياتها أو قد تؤذى نفسها بدون إرادتها فتنتزع شعر رأسها أو تجرح وجهها لتشوهه.. أو قد تتحول إحباطاتها ومشاعرها المقهورة الحزينة ناحية طفلها فتنبذه وترفضه أو تضربه وتؤذيه.

** والمرأة قد تواجه مواقف صعبة تزلزل كيانها وتفقدها توازنها وتقلب حياتها ولا تدرى ماذا تفعل غير أن تستسلم للألم والحزن.. ومن أصعب المواقف أن تفقد شريك حياتها عن طريق الموت.. بعض النساء يمتن بعد موت شريك الحياة.. وبعضهن يصبن باكتئاب لا يشفى أبدًا.

** والطلاق أيضًا كارثة فى حياة المرأة حتى وإن سعت هى إليه.. حتى وإن كان سيخلصها من متاعب وآلام كثيرة.. إلا أن آلام الطلاق أكبر.. تفقد توازنها وتنقلب حياتها رأسًا على عقب وتحتاج إلى وقت طويل لتتكيف على الحياة الجديدة وتستعيد توازنها.. بعض النساء يرفضن الطلاق مهما كانت قسوة الحياة مع رجل بلا قلب وزواج بلا حب.

** والزواج الثانى قد يحمل معه مشاكل ومتاعب من نوع جديد . . تصاب المرأة بالقلق وتزعجها الوساوس والمخاوف قبل الإقدام على هذه الخطوة . . فهناك توقع للفشل . . وهناك عصيان أطفالها ورفض أطفال زوجها . . وهناك شماتة الناس فى انتظارها إذا هى طلقت للمرة الثانية .

** والمرأة بالذات قد تتعرض لصدمات فى طفولتها تدمرها وتترك آثاراً سيئة تمتد إلى علاقتها بزوجها وأطفالها وكل علاقاتها بالناس . .

ومن أخطر الصدمات الاعتداء الجنسى الذى قد تتعرض له طفلة فى السنوات الأولى من حياتها وهى لم تتعد بعد العاشرة من عمرها . . والمصيبة أن هذا الاعتداء قد يأتى من الأب أو الأخ . .

إن هذا المعتدى الآثم يدمر مشاعرها الجنسية وعواطفها تجاه الرجل وربما أيضًا عواطفها تجاه أطفالها . . تفقد الثقة بالناس ولا تقوى على حب أحد . .

قد لا يدرى أحد بما حدث لها وقد تنسى هى الأمر ، ولكنه يظل قابعًا فى العقل الباطن باحثًا بذرات غير مرئية تسمم حياتها .

** وأخيراً هناك امرأة مدانة برغم أن ما نتصوره انحرافًا منها هى غير مسئولة عنه . . هكذا خُلقت ، أو هكذا صاغتها الظروف فنشأت وبها ميل طاغٍ تجاه المرأة وليس الرجل . .

وقد تقاوم رغباتها ، قد تحاول أن تكون طبيعية فتنتمى إلى رجل ولكنها تفشل . . ويأخذ منها الناس موقف الإدانة وتتعرض للنبذ الاجتماعى وربما تتعرض للإساءة . . وتلك قسوة من المجتمعات التى لا

تعرف طبيعة هذه الحالة . . ولذا وجبت الإشارة إلى أن طبيعة وتكوين هذه المرأة لنحاول أن نفهم وأن نساعد بدلاً من أن ندين ونتشكك . . فهى ليست امرأة آثمة وليست امرأة شاذة ولكنها امرأة مختلفة .

** وما زال هناك قائمة طويلة بالآم خفية وأحزان دفينة لا نعرف عنها شيئًا أو نتناولها ببساطة لا تتناسب مع حجم معاناة المرأة . . وهذا هو ما سيتعرض له إن شاء الله الجزء الثالث من «المرأة والطب النفسى» . . سيتعرض للآلام الرهيبة التى تتعرض لها المرأة حين ينتزع منها ثديها أو رحمها لأسباب طبية فتشعر وكأنما انتزعت عيناها الاثنتان أو ساقاها أو ذراعاها . . تشعر أنها فقدت أنوثتها وذاتها وكيانها . . تشعر أنها لا شىء .

** سيتعرض الجزء الثالث لمشاعر المرأة الدفينة عندما تتعرض للغيرة . . إن الغيرة شعور إنسانى طبيعى ينتاب المرأة والرجل . . ولكن المرأة مختلفة تمامًا عن الرجل وهى تغير . . إن غيرة أى امرأة تنطوى على آلام لا يشعر بها أحد . . وتغير لأسباب قد يصعب فهمها . . وفى بعض الأحيان تأخذ غيرتها أبعادًا مرضية تهدد سعادتها وتهدد صحتها النفسية .

** والمرأة قد تتعرض لموقف سخيف حين ترتبط برجل يقبل عليها ويظهر حبًا ورغبة صادقة ولكنه ينسحب فجأة بلا مبرر . . ولسوء حظها قد تتعرض لنفس الموقف مرة ثانية فتضطرب وتفقد الثقة بنفسها ويعصرها الغضب والألم . . ولكن هل تعلم المرأة أن سوء حظها قد أوقعها فى رجل غير سوى . . رجل لا يستطيع الالتزام ويهرب من الارتباط بأى امرأة ! !

** ومن أصعب المواضيع وأعقدها موضوع الخيانة . . والسؤال : هل نرمى كل الخائنات بالحجارة؟ هل يتساوين فى الإثم؟ هل توجد يد خفية تدفع المرأة أحيانًا للخيانة . . ؟ وهل الخيانة خطيئة دينية أم أخلاقية أم اجتماعية أم قانونية . . ؟ كيف نصنف هذا السلوك الإنسانى . . ؟ هل للطب النفسي رأى فى خيانة بلا أسباب واضحة وخيانة لها أسباب ودوافع قوية . . ؟ وهل يجوز لنا أن نبرر الخطأ؟

** الطب النفسى لا يناقش السلوك الإنسانى من منظور أخلاقى قيمى ، كما لا يبحث عن المبررات الاجتماعية ليفسر السلوك ، ولا يتعامل مع التأثير المباشر لمشاكل الإنسان المعاصر وإنما هو يذهب إلى أبعد من ذلك : إلى سنوات التكوين الأولى ، إلى تفاعلات البيئة مع تكوين الموروث على مدى مراحل النمو المختلفة ، إلى تفاعل كل شخصية على حدة مع مشاكلها المعاصرة . . الطب النفسى يرى كل إنسان كوحدة مستقلة . . كيان خاص . . قيمة متفردة . . ذاتية الفرد هى قضية الطب النفسى .

** من هذا المنطلق سنناقش هموم المرأة وهو أمر صعب قد لا يتحقق له إلا نجاح نسبى . . إنه فى صعوبة من يحاول أن يمسك بعينه أول خيط نور يبزغ من بطن ليلة معتمة منذرًا بالفجر .

دكتور

عادل صادق

موت شريك الحياة

** إنه من الأحداث الخطيرة التى يمكن أن تواجهها المرأة فى الجزء الأخير من حياتها بعد عشرة دامت سنوات طويلة بحلوها ومرها . . وهو حدث لا يقل فظاعة وضراوة عند بعض النساء عن فقد الابن . . وفى أحوال قليلة عند بعض النساء يكون فقد شريك الحياة الحبيب أشد قسوة وأكبر تأثيرًا من موت الابن .

** ينقلب حالها رأسًا على عقب . . فهو زلزال خطير يهدم سقف حياتها . . وهو بركان فظيع يحرق جدران أمنها . . وهو فيضان هائج يكتسح سدود حمايتها . . وهو إعصار أهوج يطيح بكل ما هو ثابت وراسخ على سنوات عمرها . . زلزلة خطيرة للنفس قد تطيح بالعقل .

** كل شىء يبدو غريبًا غير مألوف . . ولا معنى لأى شىء . . لا معنى . . لا معنى . . كل شىء فقد قيمته وبريقه وأهميته ووزنه . . أى شىء يصبح لا شىء .

** إنه لشىء فظيع ومرعب أن تصبح وحيدة بعد أن ظلت لمدة طويلة من حياتها نصفًا فى ثنائى امتزج وكون وحدة مترابطة . . تصبح الحياة خاوية فارغة وبلا أمل . . كما تفقد أى معنى لأن تمضى وحدها بقية الرحلة . . لا معنى للاستمرار فهى انتهت أو هكذا تشعر . . فقدته ففقدت نفسها . فالثنائى المتحد إذا انشطر وفقد نصفه فإن النصف الباقى يصبح عديم القيمة .

** ولا معنى لأن تفعل أى شىء طالما أنه لم يعد هناك الشريك الرفيق الحبيب الذى يشاركها ما تفعل ويكون شاهداً أو مراقبًا أو مستمتعًا أو معترضًا . .

وهنا يكشف الوجود عن معنى رائع للحياة . . ومعنى الحب . . ومعنى المتعة ومعنى السعادة، وهو أنه لا معنى لأى عمل أو لأى قيمة أو لأى شىء جميل أو أى خبرة إذا لم يكن هناك من يشاركنا فيها . .

إن عيون الآخر ومشاعر الآخر وأنفاس الآخر وتمتمات الآخر . . هى روح أى خبرة فى حياتنا . . فإذا مات الآخر انسحبت الروح من كل شىء فأصبح كل شىء ميتًا .

** وكلما كان هناك اقتراب وحب وألفة كلما كان أثر الفقد عظيمًا ومستمراً لزمن طويل وقد يستمر مدى الحياة وقد يعقبه الموت الحقيقى الفعلى للنصف المتبقى .

** إعادة التوازن بعد الفقد يحتاج وقتًا قد يطول كثيراً . . إن التحول من زوجة إلى أرملة أمر لا يمكن أن تستوعبه بعد الموت مباشرة . . الأمر يستغرق وقتًا حتى تدرك بوعى كامل أنه مات . . أى أنها أصبحت وحيدة . . أنها فقدت لقب الزوجة . . أنها تحمل الآن لقب أرملة وعليها أن تعيش كأرملة وحيدة بلا رجل .

** والإنسان أى إنسان يعيش دائمًا بإحساس عدم التصديق للموت . . والإنسان لا يستطيع أن يتصور نفسه ميتًا . . هذا الخاطر نرفضه، وهذا الإحساس نبعده وتلك الأفكار نطردها . . . نتناسى

الموت ولا نصدق أننا سنموت . . وأيضًا لا يمكن أن نتصور أن أحباءنا سيموتون ولا نتصور الحياة بدونهم . . ولهذا نحن لا نفكر فى الموت ولا نتحدث عنه .

** والخوف يستولى على الإنسان إذا تصور أن من يحبه قد يموت . . إن هذه الفكرة تزلزل وجدان الإنسان وقد تفجر لديه كل طاقات الحب الكامنة . .

قد تعيش مع إنسان ما وعواطفك نحوه قد تبدو فاترة ، وقد يشكو هذا الإنسان من لا مبالاتك وبرودك وعدم اهتمامك بدون تعمد . . قد تكون هذه هى شخصيتك . . قد يكون ذلك هو أسلوبك فى الحياة . . قد تكون هذه هى طريقتك الباردة فى التعبير عن عواطفك . . قد تكون من النوع الذى يخشى الاقتراب كثيراً . . قد تكون منشغلاً بعملك واهتماماتك الكثيرة المتعددة وطموحاتك . .

وفجأة يمرض هذا الإنسان الذى يحبك كثيراً وتحبه أنت بدرجة أقل . . ويطل شبح الموت . . هنا يتبدل حالك تمامًا . . تهوى كل جبال الثلج التى بداخلك . . يتدفق حبك وحنانك نحو الإنسان الذى تصورته أنه سيموت ، والذى عشت سنين معه بأعصاب هادئة وعواطف محدودة . . إن شبح الموت هو مفجر لعواطفنا تجاه الآخرين .

** نحن لا نفكر فى الموت ولا نصدق أننا سنموت ولا نصدق أن أحباءنا سيموتون مع أن الموت حقيقة واقعة لا محالة . . شىء لا هروب منه . .

إن مواجهة الموت أمر لا يمكن تصوره أو تخيله . . إن المرأة التى تفقد شريك حياتها تواجه موقفًا جديدًا وغريبًا وصعبًا، قد يكون من القوة والعنف بحيث يؤثر تأثيرًا خطيرًا على حياتها وحياة الآخرين . . وإذا لم تكن تتوقع ما قد يمكن أن توجهه فإن الأمر يكون مرعبًا ومخيفًا .

** قد تحاول المرأة أن تتماسك وأن ترتدى وجهًا شجاعًا ولا تدع فرصة للآخرين أن يشعروا كم هى حزينة . . ولكن إخفاء العواطف وإنكار الحزن والتماسك الزائف قد يعرضها بعد ذلك لمضاعفات خطيرة . .

•••

** اللحظة الأولى بعد الموت : هى الصدمة وعدم التصديق وخاصة إذا كان الموت مفاجئًا وغير متوقع . . كأن يموت الزوج فى حادث أو بعد أزمة قلبية وخاصة إذا جاء إليها خبر الموت والزوج بعيد عنها . . كأن يموت فى الطريق أو فى مكان عمله . . وأيضًا إذا كان الموت متوقعًا بسبب مرضى خطير فإن رد الفعل الأول هو عدم التصديق . . مستحيل أنه مات . . إنه لم يمت . . لا أصدق .

** وإذا لم تر الزوجة جثة زوجها فإنها تظل غير مصدقة . . إنه سيظل فى ذاكرتها صورة واحدة فقط وهى صورته وهو حى . . إن التأكد الوحيد والقاطع من موته هو عدم وجود حياة فى جسده . . سيستمر لديها عدم التصديق إذا لم تر زوجها بعد موته . . لكى تصدق أنه مات . . لابد أن يتوافر لذاكرتها صورة جسد بلا حياة .

•••

** تستمر الصدمة عدة أيام. . تنميل شامل فى عقلها يشل تفكيرها وأحاسيسها. . تنميل أقرب إلى الشلل. . وذلك يساعدها فى الأيام الأولى على الإجراءات الروتينية والمراسم التى تعقب الموت. . وبعد ذلك يذهب التنميل ويختفى الشلل وتأتى أحزان الأسى. . أحزان تستمر عدة شهور وقد تمتد عدة سنوات.

** والإحساس بالفقد يكون فى البداية مصحوبًا بالقلق. . لقد تغير العالم من حولها فجأة ومن الصعب أن تدركه بشكل طبيعى وأن تتعامل معه. . تفقد القدرة على الاستقرار وتتحرك فى منزلها من مكان إلى مكان وكأنها تبحث عن شىء. . تشعر بوخز الحنين. . وقد تشعر بأن زوجها موجود فى مكان ما بالمنزل وقد تسمع صوته الحقيقى فى أذنيها وكأنه صادر من مكان معين حولها. . وقد تهدأ قليلاً إذا رأته فى الحلم أثناء نومها، ولكن تعاستها ستكون أكبر حين تستيقظ متوقعة أنه بجوارها على سريرها ولكنها ولحسرتها تجد السرير خاليًا منه ولا تقبض يدها إلا على الهواء.

** وفى هذه المرحلة تشعر الزوجة بغضب شديد تجاه الأطباء والممرضات لأنهم فشلوا فى علاج زوجها، وكذلك تجاه الأصدقاء والأقارب لأنهم لم يبذلوا جهدًا كافيًا لشفائه. . وقد تشعر بالغضب من زوجها الذى مات وتركها. . تشعر بالذنب الشديد لأنها لم تمنع موته. . على نحو ما تشعر بأنها سبب موته. . أو قد تشعر أن موت زوجها عقاب لها على آثام ارتكبتها أو أخطاء اقترفتها. .

إنها حالة من الغضب تجاه الدنيا . . وبرغم إيمانها فإنها تكون على يقين بأنه كان من الممكن منع موته أو أنه لم يكن ينبغى أن يموت أو لا يجب أن يموت . . لماذا مات وتركنى وحيدة؟ . . مسئوليته هو أم مسئوليتى أم مسئولية آخرين؟؟ .

●●●

** قد تشغل نفسها لكى تخفف من أحزانها . . عمل . . أصدقاء . . مشاكل الأبناء . . مشروعات جديدة . . ولكن هذا غير صحى وخاصة فى البداية . . لا بد أن تعيش تجربة الأسى . . إن الدموع ضرورية والتعبير عن الأحزان مشروع . .

إن المجتمع يسمح للمرأة أن تعبر عن حزنها بشتى الوسائل . . أما الرجل فمطلوب منه أن يتماسك . . ولذا فإن الرجال يعانون أكثر بعد موت الزوجة لأنه لا يتاح لهم الفرصة الكافية والوسيلة الطبيعية للتعبير عن أساهم .

●●●

وخز الحنين يفضى إلى الحزن العميق . . وقد تشعر المرأة من شدة حزنها أنها على وشك أن تفقد عقلها . . إنها قد تجن لأن مزاجها يتغير من لحظة لأخرى . . تغير سريع وتقلب فى حياتها المزاجية . .

إن هذه التجربة غير معقولة وفوق قدرة أى إنسان على التحمل . . تجربة فريدة ومرعبة .

** والحزن يكون على أشده لمدة ستة أسابيع تقريبًا . . ويحل محله حزن آخر تتصور أنه سيستمر معها مدى الحياة . . الحزن فى المرحلة الأولى يقعدها ويمسك بكل روحها . . والحزن الذى يليه يتيح لها الحركة ولكن بفتور . . وتتشبث بكل ما يذكرها به : لحن يحبه . . كتبه . . سجائره . . ملابسه . .

إنها تخاف أن تفقد أحزانها . . ولهذا فهى تلجأ إلى كل ما يحيى جذوة الأحزان فى قلبها . . وفى لحظات تنهمر الدموع من عينيها حين تلمس شيئًا يحبه أو يخصه أو تسمع حديثًا عنه وتعاودها نفس المشاعر التى أعقبت موته . .

ومن وقت لآخر تنتابها تلك اللحظات الصعبة ، والتى إذا تكررت كثيراً فإنها تنبئ بأن طريق الشفاء ما زال طويلاً .

** وفى الأحوال الطبيعية التى لا تتحول إلى مرض تستطيع المرأة أن تمارس روتين حياتها كالاهتمام بالبيت أو الذهاب لعملها . . قد تكون مثقلة ولكنها تتحمل . . تشعر بذاتها ككيان قادر على الحركة والعمل والحياة فى عدم وجود أهم شخص فى حياتها . .

وفى لحظات تستطيع أن تنسى فقدها . . تعود إليها ابتسامتها وقدرتها على الضحك والمشاركة ، ولكنها تشعر بالوحدة . . بأن هناك شيئًا ناقصًا وكأنها فقدت جزءًا من جسدها . . ذراع أو ساق أو فقدت نصفًا كاملاً من جسدها ومن ذاتها . . تشعر وكأنها مشطورة . .

حقيقة أنها تأكل وتنام وتعمل وتضحك وتشارك وتتطلع إلى الغد.. ولكن كل هذا لا يكفى.. ليس هذا هو الذى تريده.. ليس هذا هو الذى يمتع.. هناك معنى مفقود.. هناك شيء ناقص.. هناك فراغ لا يمكن ملؤه.. فراغ فى داخلها وفراغ فى خارجها.

** ويمر وقت ليس بالقليل لتشعر بأن الحياة لا يمكن أن تعيشها إلا إذا قبلت أنها لم تعد زوجة.. لم تعد نصفًا فى ثنائى متلاحم.. لا بد أن تقبل حقيقة أنها أرملة وحيدة وعليها أن تواجه الحياة بهذه الصورة الجديدة.

** وبالرغم من أنها قد تنجح فى ذلك إلا أنها وبعد سنوات تظل تشعر بأنها انتزعت من كيان متكامل.. إنها زحزحت بدون إرادتها من مكانها الطبيعى.. إنها فصلت أو شطرت من منظومة متناسقة عاشت داخلها أو تداخلت فيها كنصف مكمل.

** والعودة إلى الحالة الطبيعية ممكنة إذا استقرت الحالة المزاجية.. إذا عاد مزاجها إلى حالته الطبيعية وبذلك تستطيع أن تمارس حياتها بشكل طبيعى تمامًا.. وقد تتفتح لها آفاق جديدة وتقوم بأعمال لم تكن تستطيع أن تقوم بها فى ظل زوجها.. تكتشف قدرات جديدة وإمكانيات لم تكن معروفة لديها وهى تدور فى عجلة زوجها وأطفالها.. ولهذا قد تعود إلى ممارسة حياتها ولكن بشكل جديد تمامًا وبأسلوب مختلف.

٨٥٪ من الأرامل يعدن إلى الحالة الطبيعية بدون تدخل طبى فى خلال ثلاث سنوات.. ١٥٪ يحتجن إلى مساعدة الطبيب النفسى

حين يصبح الأسى -أى أحزان الفقد - مرضًا له أعراض جسدية ونفسية مؤلمة.

** والمرأة التى تشفى سريعًا قد تشعر بالذنب والخجل . . كيف نسيت شريك حياتها بهذه السرعة!! وهى فى هذه الحالة قد تحتاج إلى من يطمئنها أن هذا أمر طبيعى . . وسرعة الشفاء تتوقف على عوامل كثيرة منها:

- معنى الفقد بالنسبة لها.

- نوعية العلاقة التى كانت تربطها بزوجها.

- الأشياء المشتركة بينهما.

- شخصية الزوج الذى مات.

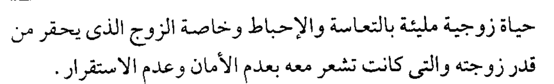
- وجود من يساندها فى هذه الأزمة كالأب والأم والإخوة والأبناء.

- طبيعة عواطفها بشكل عام وشخصيتها.

- وجود مسئوليات تتطلب جهدًا وتركيزًا كتربية الأطفال الصغار ورعاية مصالحهم وكذلك عملها وخاصة إذا كانت تعتمد عليه اقتصادياً.

** ولكن من أهم العوامل هى نوعية الحياة التى كانت تعيشها معه وأسلوبه فى التعامل معها . .

فالزوج القاسى أو الأنانى أو البخيل يكون الشفاء من تأثير موته أسرع . . وقد تقابل خبر موته فى البداية بنوع من الارتياح . . فهناك



حياة زوجية مليئة بالتعاسة والإحباط وخاصة الزوج الذى يحقر من قدر زوجته والتى كانت تشعر معه بعدم الأمان وعدم الاستقرار .

هذا الزوج لم يكن يلبى الاحتياجات الأساسية للمرأة وهى الإحساس بالأمان والإحساس بالقبول والإحساس بذاتها وكيانها كإنسانة . . ثم الاحتياجات العاطفية . . إذا فقدت المرأة كل ذلك فإن الحياة الزوجية تصبح عبئًا . . ولهذا يجىء موت الزوج ليخلصها من كل المشاعر السلبية التى عاشتها .

** بعد موت مثل هذا الزوج فإن المرأة تكون فى حيرة وصراع وتنتابها مشاعر متضاربة ومتناقضة . . وتمر بمرحلة الحزن والأسى ولكنها تكون قصيرة وغير قاسية . . وقد تسيطر عليها مشاعر اليأس لأنه لم تعد هناك فرصة لتصحيح الأخطاء وتعويض الفشل . . كانت علاقة فاشلة ولا شك أنها كانت زوجة فاشلة . . ولذا فقد تعاقب نفسها بأن تتمادى فى أحزانها .

** إن كل امرأة تتمنى أن تكون زوجة ناجحة وأن تنعم بحياة زوجية ناجحة . . وهى لا تعفى نفسها من مسئولية فشل الحياة الزوجية . .

قد يكون الزوج وراء الفشل الحقيقى ومصدر كل المتاعب . . ولكن هى فى النهاية زوجة فاشلة لزوج فاشل فى علاقة فاشلة . .

هذه هى المشاعر التى تسيطر عليها بعد وفاة الزوج بعد رحلة فاشلة قد تكون غير مسئولة بالكامل عن فشلها ولكنها عاشتها وشاركت فيها .

●●●

** ولكن الأمور قد تأخذ شكلا مرضياً . . ومن أخطر المواقف التى تواجه المرأة الوفاة المفاجئة لزوج تحبه . . وعاشت معه سنين طويلة وسعيدة . . هنا تسيطر على المرأة مشاعر :

١ - الإحساس الشديد بالذنب وتأنيب الضمير والتقليل من قيمة الذات .

٢ - الإحساس الدائم بأن زوجها موجود حولها .

٣ - تظل وفية دائمًا لذكراه . . تظل تفعل كل شيء كان يحبه ولا تحاول أبدًا أن تستقل بحياتها أو أن تعيش حياة مختلفة أو أن تبدأ شيئًا جديدًا . . كل شيء هو تكرار لما كانت تفعله معه وما كان يحبه . . تسمع نفس الأغانى . . تقرأ نفس الكتب . . تذهب إلى نفس الأماكن . . تقابل فقط الناس الذين كان يحبهم . . كتبه . . مكتبته . . كرسيه . . تترك مكانه شاغرًا على مائدة الطعام وبالطبع على السرير . .

مثل هذه المرأة لا تتزوج أبدًا بعد وفاة زوجها . . ومن البداية فإن الحالات التى تصبح مرضية ومزمنة تكون واضحة . . تستمر الأحزان سنين طويلة ولا تعود المرأة إلى حالتها الطبيعية على الإطلاق . .

هذه المرأة تحتاج إلى مساعدة طبية ليس لنزع الحزن من قلبها - فهذا غير ممكن - ولكن لمساعدتها على الاستمرار فى الحياة بشكل أقرب إلى الطبيعى بدون معاناة وبدون ألم ولكى تواصل مسئولياتها .

وعموماً فإن فقد الزوج يسبب معناة حتى وإن كانت العلاقة سيئة . . حتى وإن كان فيها بعض العداء المتبادل . . هذه حقيقة لا بد أن نقرها . . لأن الحياة والعشرة معًا قد خلقت عادات معينة وأسلوبًا معينًا للحياة اعتاده كل منهما بالرغم من عدم رضاء كل منهما عنه .

لقد اعتادت السوء فى الحياة . . اعتادت القلق واعتادت الإحباط . . تكيفت معه . . حتى وظائفها البيولوجية اعتادت على درجة من القلق والضيق والمعاناة . . ولا شك أيضًا أنه بالرغم من العداوة المتبادلة إلا أن هناك تقاربًا ما فى أشياء ما وإلا لما استمرا . . هناك دوافع ظاهرة وأخرى غير ظاهرة . . معلومة لديهما وغير معلومة جعلتهما يستمران .

** فبالرغم من أن استمرارهما يبدو من السطح أو من الناحية الشكلية مستحيلاً . . فقد تعيش زوجة مع زوج تعرف تمامًا خياناته المتعددة . . قد تعيش مع زوج تعرف تمامًا أنه لا يحبها . . قد تعيش مع زوج قاسٍ وعنيف . . زوج يهينها ويجرح مشاعرها ورغم ذلك تستمر . .

وقد يعلم الزوج أنها لا تبادله الحب . . أو أنها تحتقره . . ولكنهما يستمران . .

ولذا فإن موت الزوج هنا يسبب معاناة للزوجة . . لأن الموت هو النهاية . . لا يعقبه إلا الصمت . . إنه اللا شيء . . إنها الآن وحيدة . . إن وجوده برغم سوئه كان شيئًا . . أما الآن فلا شيء . . لم تعد شقاً أو جزءًا فى الثنائية الزوجية .

●●●

** والزوجة التى يستمر حزنها تعاودها الأحزان بشدة فى موعد وفاته كل عام . . تعيش للحظات موته بالكامل . . هذه المرأة فى حاجة إلى معالجة نفسية .

** وهناك زوجة تموت بعد موت زوجها . . إلى هذه الدرجة ترتبط روح إنسانة بروح إنسان ! !

الإحصائيات العلمية الصادرة عن معاهد الطب النفسى فى العالم تقول إن نسبة الوفيات ترتفع إلى الضعف فى الشهور الستة الأولى بعد موت شريك الحياة . . أى رباط هذا ! ! وأى علاقة تلك ! ! وأى حب ! !

والتصور هنا أن هذه درجة من الحب أو هذا نوع من الحب حدث فيه التوحيد الكامل بين الطرفين . . فعاش كل منهما بروح الآخر ممتزجة مع روحه ، فأصبح من المستحيل نزع روح أحدهما منفصلاً عن الآخر . . إما أن يعيشا معًا أو يموتا معًا . .

إنهما خلال رحلة حياتهما لا يكون لأى شىء فى الحياة معنى إلا من خلال الآخر . . فإذا ابتعد أحدهما فترة -لأى سبب- تقفر الحياة تمامًا فى وجه الآخر . . يفقد كل إحساس بالحياة ولا تغادر صورة رفيقه ذهنه لحظة ، ويضطرب نومه ، ويضطرب طعامه ، ويزحف عليه الحزن تدريجيّاً . . فإذا عاد من سفره أو من مرضه عادت الروح مرة أخرى لتشعر بالحياة .

** وفى خلال رحلة حياتهما لا يتصور أحدهما أن الآخر سيموت . . وفى اللحظات التى تسيطر فيها الواقعية على التفكير

ليقبل حقيقة الموت يتمنى كل منهما أن يموت قبل الآخر . . وليست هذه أنانية بقدر ما هى كراهية للموت أن يصيب رفيق حياته، فالعقل هنا لا يتصور أن تنتزع الحياة ممن يحب فيتحول إلى جسد بارد لا يحس ولا يتحرك، وذلك بالرغم من أنهما يدركان أن كلا منهما لا يستطيع أن يعيش بعد موت الآخر . . ففى لحظات الحزن التى تمر بكل إنسان حين تعبر السحب السوداء بالعقل يسيطر إحساس يقينى هو عين الحق أنه سيموت فوراً إذا سبقه حبيبه إلى الموت .

●●●

** وبذلك يتكشف لنا عن أثمن ما فى الوجود أن منتهى حب إنسان لإنسان هو أن يموت حباً .

***

صدمة الطلاق

** أى افتراق إنسانى مؤلم . . وأى نهاية لعلاقة إنسانية توجع القلب . . والموت والطلاق شبحان يهددان العلاقة الزوجية بالنهاية . . ويظل الإنسان يتجاهل الموت، ويظل يتردد فى قرار الطلاق ويؤجله حتى تحين لحظة يواجه فيها الإنسان مصيراً مفروضًا عليه وهى أن يغادر . . أن يرحل . . أن ينفك العقد . . أن تنزل الستارة وتنتهى الحكاية ويعم الصمت .

** إذا طالت مدة الزواج، وأيضًا مع العلاقات الطويلة يحدث تقارب فى جوانب كثيرة . . تتعدد الأشياء المشتركة . . كل منهما يؤثر على الآخر . . يؤثر على طريقة تفكيره ودرجة تكيفه فى الحياة . . كل منهما يكيف حياته على وجود الآخر .

** وفى بعض الزيجات لا يكون هناك الحد الأدنى من التقارب . . إلا أن كلاً منهما يكون قد تعود على الحياة مع الآخر . . تعود على أسلوب الآخر وطريقته . . يستطيع كل منهما أن يتعامل مع الآخر وهو مغمض العينين . . تسير الحياة بشكل تلقائى أو بقوة دفع العادة والتعود .

هذه العادات هى دعامة الحياة الزوجية وإن كانت لا تحظى بالدفء العاطفى الكافى . . حتى وإن كانت تبدو غير مستقرة .

** وبالرغم من الإحباطات وعدم تحقيق التوقعات، وعدم إرضاء الحاجات . . فإن كلاً منهما يحاول أن يرتب حياته مع الآخر

وخاصة إذا أثمر الزواج عن أبناء . . وتنمو مع الوقت أشياء مشتركة بعضها سار وبعضها سيئ وحزين . . إلا أنها تكون رصيد الذكريات . . ويصبح كل طرف يمثل للآخر هدفًا يوجه عليه غضبه للصعوبات التى يواجهها فى الحياة .

** فى الزواج المستقر ، وفى علاقات الحب الطويلة فإن شيئًا بديعًا يحدث . . إذ تتكون ذات مشتركة إلى الدرجة التى يصبح كل طرف يفكر مثل الآخر . . يحدث انسجام فكرى يصل إلى أقصى مدى ، ويزداد إعجاب كل طرف بما يقول الآخر ويخامر كل منهما إحساس بأن شريكه ينطق بما يفكر فيه هو شخصياً . . كل منهما يشعر باحتياجات الآخر وتمنياته ويقابل توقعاته .

إنها درجة من الإحساس والفهم إلى حد قراءة التعبيرات البسيطة على الوجه . . إن أنجح العلاقات هى التى يكون كل طرف فيها مهتماً بالآخر وملتزمًا ناحيته .

وثمة علامتان يكتشف بهما كل طرف حقيقة مشاعره تجاه الآخر : إخلاصه له وحرصه عليه . . تمامًا مثلما يخلص لنفسه ويحرص على نفسه . . ومع هذا الاقتراب الشديد فإنه يترك للآخر مساحة يتحرك فيها لينمو وينضج وتكون له ذاته المستقلة . . تكون له حريته وإرادته واهتماماته .

هذه المسافة يتركها كل طرف للآخر طواعية بعدما يصل إلى درجة الإخلاص المطلق والحرص على الطرف الآخر .

** مثل هذه العلاقات لا يهزمها إلا الموت وتكون فى مأمن من شبح الطلاق أو الانفصال .

** والطلاق يختلف عن الموت بالنسبة للمرأة . . فالموت يكون خارجًا عن إرادتها . . وسواء كان الزواج ناجحًا أو فاشلاً فإنها تستسلم بحزن وتمر بمعاناة الأسى ولا تتعرض لأى نقد من المجتمع . . أما المطلقة فإنها فى النهاية امرأة فاشلة لأنها فشلت فى أن تستبقى زوجها أو هى فاشلة من البداية لسوء اختيارها .

وتكون الطعنة الكبرى إذا تزوج هذا الرجل الذى طلقها بامرأة أخرى، أو إذا كان طلاقها منه بسبب زواجه من امرأة أخرى .

** قد ترى الزوجة أن حياتها الزوجية مرضية، وأن هناك درجة عالية من الاستقرار . . ولكنها تفاجأ بهجر زوجها . . بأنه يعرف امرأة أخرى وأن الأمر ليس مجرد نزوة ولكنه يحب هذه المرأة حبًا حقيقيًا . وتكون المأساة إذا عرفت أنها علاقة مستقرة ومنذ سنوات طويلة .

** قد تأخذ الزوجة وقتًا طويلاً لتفيق من الصدمة وتراجع حياتها مع هذا الرجل لتعثر على الخطأ . . أين المشكلة؟ . . لماذا ذهب إلى الأخرى؟ هل أنا السبب؟ . . تأخذ وقتًا طويلاً حتى تدرك أنها ساهمت فى هذه المشكلة .

تكتشف أن إحساس زوجها قد تسرب تدريجيًا حتى بدون وجود امرأة أخرى فى حياته . . يصل إلى مرحلة التبلد الوجدانى الكامل ناحية زوجته ولكنه يواصل الحياة لالتزامه الأخلاقى بالأسرة -بالزوجة والأبناء- ولكن مشكلته تبدأ حين تتجه عواطفه لامرأة أخرى . . هو ذاته قد يعتبرها نزوة . . وقد تحقق له بعض

الإرضاء العاطفى الذى فقده فى بيته . . ولكن النزوة تطول ويكتشف أنها حب حقيقى .

وقد تستمر حياته المزدوجة دون أى إخلال بواجباته الأسرية وأيضًا واجباته ناحية الإنسانة التى يحبها . . وقد يعيش صراعًا طويلاً وتتأرجح مشاعره بين أن ينهى حياته الزوجية ويعيش مع حبيبته أو يقطع علاقته مع حبيبته ليتفرغ لحياته الأسرية حتى بدون قلب .

** بعض الرجال يجدون صعوبة كبيرة فى الحياة مع امرأتين . . وهناك رجال آخرون يستطيعون الزواج بأكثر من امرأة أو أن تكون لهم علاقة بأكثر من امرأة فى وقت واحد .

** هناك رجل لا يستطيع أن يوزع اهتمامه . . ولا يستطيع أن يوزع مشاعره . . ولا يستطيع أن يحب امرأة وأن يعيش مع امرأة أخرى .

هذه النوعية من الرجال تحتاج إلى امرأة واحدة سواء أحبها أو لم يحبها . . مثل هذا الرجل لا يمثل الحب أهمية كبيرة فى حياته . . إنه يبغى الاستقرار ويحب الأسرة .

ولكن فى ظل حياة زوجية غير مستقرة ومنزوعة العواطف فإن الحب يمثل الجانب الجميل فى حياته . . ولكن قد تضطره الظروف أن يختار . . إما الحبيبة وإما الزوجة .

وفى خلال مشواره فإن الزوجة تكون هى الأبقى لانها تمثل الاستقرار النسبى . . ولكن فى منعطف معين قد يختار

الحبيبة . . وهنا تكون الصدمة للزوجة لأن الأمر كلية لم يكن متوقعًا .

** الأمر يكون سهلاً نسبياً بالنسبة للمرأة غير السعيدة فى حياتها وخاصة إذا كان زوجها متعدد العلاقات أو قاسيًا أو لا يلبى احتياجاتها العاطفية والجسدية أو إذا كان أبًا سيئًا . . قد تتلقى الطلاق ببعض الارتياح وتشعر أنها حرة فى النهاية وأنها تخلصت من الزوج العنيف الجاف القاسى والذى لا تحبه ولا يحبها ، أو إنها تخلصت من الزوج المدمن أو من الزوج الذى لا تحترمه (كأن يكون منحرفًا فى عمله وفى مبادئه العامة) .

** ولكن بالرغم من هذا الارتياح فإن الطلاق يمثل صدمة . . إنه حادث مهم ومفزع . . فهى الآن وحيدة . . كانت نصفًا فى ثنائية ولكنها الآن انشطرت . . وقد تنتابها حالة الحزن التى تنتاب الزوجة حين يموت زوجها . . إنها الآن زوجة سابقة ، وتفقد كثيرًا من مكانتها الاجتماعية ونظرة الناس إليها . . يتغير كثيرًا أسلوب حياتها .

** وحتى المرأة التى تعرف أن زوجها على علاقة جادة بامرأة أخرى يظل لديها أمل أنه سيعود . . سيختارها هى لأنها الزوجة ولأنها أم الأطفال وأنها لم تؤذه إلى الحد الذى يقرر طلاقها . . وتحاول أن تساعده فى حيرته وذلك إذا كانت تحبه . . حبها يجعلها تبذل جهدًا فى استعادته من المرأة الأخرى .

** ليس من السهل أن تقبل زوجة الطلاق من زوجها بسبب امرأة أخرى . . بل العكس فإنها تتشبث به أكثر ويدفعها ذلك أن

تغير الكثير من طريقتها فى التعامل مع زوجها وأسلوب حياتهما معًا وأن تتلافى الكثير من العيوب والأخطاء وأن تبحث عن إجابة لأهم سؤال: لماذا اهتم زوجى بامرأة أخرى وكيف انتزعته منها؟!

** ولكن الأمر يختلف فى حالة الزوج الخائن بطبعه متعدد العلاقات الذى لا يحقق أى إرضاء لزوجته على كل المستويات.. هنا يكون لا مفر من الطلاق.. وبالرغم من ذلك فإن مشاعرها تكون مختلفة مضطربة ومتناقضة.

** وقد تطلب هى الطلاق ولكنها تتراجع عنه.

** وقد يعرض هو الطلاق ولكنها تماطل وتساوم وتلجأ لمن يتوسط.

** فترة من الحيرة المضنية.. فهى مقتنعة تمامًا بالطلاق وبأنه سيريحها وأنها ستبدأ حياة جديدة أكثر نجاحًا ولكنها تتردد وتتراجع. وقد تفضل أن تعيش معه هذه الحياة الهامشية فذلك أفضل لديها من أن تأخذه امرأة أخرى بالكامل.

إنها تقاوم أن تفقد هذا الجزء منه الذى يعيش معها.. إنها طبيعة المرأة التى ترفض أن تستسلم لامرأة أخرى وتترك لها نصيبها فى زوجها.

** وبعد حدوث الطلاق تصاب المرأة بالاكتئاب.

** وتعاودها مشاعر الثورة والغضب والقلق والحزب القاتل حين يتزوج طليقها من امرأة أخرى حتى وإن كانت حياتها قد

استقرت . . حتى وإن كانت قد بدأت علاقة جديدة . . حتى وإن كانت فى طريقها للزواج من رجل آخر . . إنها أحاسيس الفقد . . فقد شيء كنا نمتلكه . . شيء كان معنا . . شيء كان يخصنا . . شيء كان لنا وحدنا . . شيء كان بيننا وبينه رباط .

** وتداهمها الذكريات . . ولا يعاودها غير ذكريات الأحداث الطيبة والأيام الجميلة . . تتذكر البدايات وأيام الحب والرومانسية .

** بعد الطلاق ، وبعد زواجه من أخرى لا تتذكر له إلا كل الأشياء الجميلة .

** وهناك امرأة تكره الطلاق وتكره أن تكون مطلقة . . ولهذا فهى تستمر فى الحفاظ على حياتها الزوجية حتى وإن كان زوجها يرفضها رفضًا كاملاً وله علاقة أخرى . . إنها تفضل أن تعيش تحت هذه الظروف القاسية ولا تطلق . . استمرار زواجها من هذا الرجل قد يكون مصدرًا لاستقرار أشياء أخرى فى حياتها اقتصادياً واجتماعياً . . قد تحظى من خلاله بمكانة اقتصادية واجتماعية معينة ترفض أن تتخلى عنها . . الطلاق يحرمها من كل هذه المميزات .

** وقد ترفض الطلاق لأنه لا مكان تذهب إليه ولا استقرار اقتصادى فى حياتها .

** وقد ترفض الطلاق حتى لا تتعرض لشفقة الآخرين . . فالمرأة يضايقها كثيراً بعد طلاقها شفقة نصف الناس وشماتة النصف الآخر .

** تتعرض المرأة لمشاكل كثيرة بعد طلاقها . . تأخذ بقية الزوجات منها موقفًا ، فهى غير مرحب بها فى حضور الأزواج .

تفقد ترحيب الأسر بها . . ولهذا فهى قد تضطر أن تصادق الأرامل والمطلقات فقط أى سيدات بلا رجال .

إنها مرفوضة داخل الأسر المستقرة . . إنها تذكر الزوجة بالفشل . . وتذكر الزوج بالفشل . . إنها نموذج مؤلم للفشل وعدم استقرار الحياة الزوجية .

** وينظر إليها الرجال على أنها صيد سهل . . امرأة محرومة من الحب ومن الجنس ومن الرفيق . . ولهذا فإن أى اقتراب منها سيحقق نتائج فورية .

** وهناك سيدة تكره أن تعيش بمفردها . . تريد دائمًا أن تكون مهمة عند إنسان ما . . تريد رجلاً دائمًا تراه فى فراشها كل صباح . . تريد أن ترتبط بإنسان ما وأن يرتبط بها إنسان ما .

إنسانة تكره الوحدة وتريد أن تكون نصفًا فى ثنائية يتلاحم شقاها . . ولهذا فهى تفزع من شبح الطلاق وتنهار لاقترابه . . وإنها حين تتوقعه ولو قبل حدوثه بسنوات فإنها تهيئ نفسها للارتباط بإنسان آخر . . قد يكون فى خيالها . . وقد تعده إعدادًا فعليًا . . أى يكون موجودًا وجاهزًا فإذا طلقت ترتبط به فورًا .

** وهناك امرأة لا يتوافر لها أن تعد هذا الإنسان . . ولذا فإنها قد تتسرع فى زواج آخر بعد طلاقها لا يتحقق له النجاح . . وقد تجرب حظها لمرة ثالثة . . إنها امرأة لا تستطيع أن تعيش بدون زوج . . أو بالأحرى لا تستطيع أن تعيش بدون رجل .

●●●

** وبينمـا الأرملة تعتاد مع الوقت على حقيقـة أنه مات ولن يعود، ولن يكون موجودًا أبدًا فى حياتها بشكل حى وفعلى، إلا أن المطلقة تعرف أن الرجل الذى طلقها موجود فى الحياة وأنه يستمتع، وربما تكون امرأة أخـرى فى حيـاته وأنه يقـدم لهـذه المرأة عـواطفـه وجسـده ومـاله وتلك الأشيـاء التى حـرمت منهـا . . ولذا تشـعـر بمرارة . . ولا يمـحـو هـذه المرارة إلا استـقـرارهـا مع رجل تحـبـه ويحبها . . إلا إذا كـان هناك تعويض كامل عما فقدته معه وبعده . . إلا إذا كان هو ذاته غير موفق فى حياته الجديدة .

إنها لا تستطيع أن تنتزعه من عقلها إلا إذا استقرت عاطفياً .

ويزداد الألم وتزداد المرارة إذا كان هو الذى لفظها من حياته ضد رغبتها فى الوقت الذى كانت هى متشبثة به ولا مرارة تعادل توفيقه مع امرأة أخرى .

** إن المرأة قـد تكون تعسـة فى زواجهـا ولكنهـا تحـرص على بيتـهـا . . فـهى قـد سـاهمت فى هذا البيت وهى تنتمى إليه . . إلى ستائره وأبوابه وأثاثه . . أنفاسها لامست هذا الجماد وتسربت داخله فشعر بهـا مثلمـا هى تشعر به . . ولهـذا فـهى تشعر بالحزن العـميق حين تغادر هذا البيت .

** وقد تستمر المرأة فى الحياة الزوجية التعسة لتحتفظ بأولادها قربًا منها . . أولادها يعطونها القوة وخاصة إذا كانت قد اقتربت من سن اليأس ولم تكن تملك ما تعتز به فى حياتها . . أولادها حينئذ يمثلون لهـا الفـخـر والقوة والاسـتـمـرارية والقيـمـة فى الحيـاة بل

والهدف فى الحياة أيضًا . . وهى تخشى بالطلاق أن تفقدهم وخاصة إذا كان نفوذ الأب أقوى ويملك ما يشدهم به إليه . . ويكون الطلاق بالنسبة للمرأة حينئذ خسارة فى كل الاتجاهات : خسارة الزوج والبيت والمال والمكانة الاجتماعية والأولاد . . أى كل شىء .

** وهناك تخوف من عدم نجاح الزواج الثانى ، وبذلك تتعرض لخيبة أمل كبيرة . . وسيكون ذلك تأكيدًا لفشلها . . فها هى تفشل للمرة الثانية . . وقد يكون هناك إنسان فعلى فى حياتها ولكنها قد تخشى ألا يفى بوعوده بعد أن تكون قد طلقها من زوجها .

●●●

إن الطلاق حيرة وألم للمرأة فى كل الأحوال . . سواء سعت هى إليه أم اضطرت له . . سواء إذا كانت سعيدة مع زوجها أن تعيسة . . إنه من أصعب المواقف التى تواجهها أى امرأة وذلك إذا كانت امرأة سوية .

***

.. مشكلة الزواج الثانى

** هناك امرأة تتردد كثيراً قبل أن ترتبط مرة ثانية .

** وهناك امرأة أخرى تندفع فور طلاقها للارتباط برجل آخر . . رجل تعرفه من قبل ، أو رجل تبحث عنه .

** بالنسبة للأرملة إذا كان زوجها الأول طيبًا وعاشت معه حياة سعيدة ولها منه أبناء وبنات فإنها تشعر بأنها خيانة لزوجها الذى مات أن تتزوج بعده .

وفى هذه النقطة بالذات تختلف النساء . . فهناك الأرملة التى تبلغ من العمر ثلاثين عامًا وتظل وفية لذكرى زوجها حتى نهاية عمرها ولا تتزوج وتتفرغ لتربية أطفالها الصغار حتى وإن كان طفلاً وحيدًا .

وهناك الأرملة التى تبلغ من العمر خمسين عامًا وتتلهف على الزواج بعد ثلاثة أو أربعة أشهر من وفاة زوجها حتى وإن كانت تستمتع بالاستقرار المادى الذى يعفيها من الحاجة إلى رجل ، وحتى وإن كان لها أبناء فى حاجة إليها أو أبناء يضيرهم أن تتزوج أمهم وهى فى هذه السن المتقدمة .

والأمر يتوقف على احتياجات المرأة . . الاحتياج ليس ماديّاً فقط وليس عاطفيّاً فقط وليس جسديّاً فقط . . وليس كل هذه الأشياء مجتمعة أو بعضها . . ولكنه احتياج لوجود إنسان . . رفيق . .

إنسان يشاركها أشياء متعددة . . إنسان تنتمى إليه . . وهو نوع من الانتماء يختلف عن أى انتماءات أخرى . . ولكل إنسان احتياجات ورغبات قد يصعب عليه مقاومتها أو تجاهلها .

** ولو كان الزوج الأول سيئًا فالأرملة قد تتردد فى الزواج خوفًا من تكرار تجربة تجر عليها آلامًا جديدة كانت قد استراحت منها بموت زوجها .

●●●

** وفى الزواج الثانى يكون الأمل معقودًا أن كلاًّ من الطرفين قد تعلم من تجربته الأولى . . قد استفاد من الأخطاء . . أن يكون قد وعى إسهاماته فى عدم إنجاح الزواج الأول . . أى مسئوليته عن الفشل . . أى يكون قد نضج وعرف كيف يدير حياته الزوجية بطريقة أفضل تحقق نجاحًا يحقق سعادة . . أن يكون قد تعلم فن المشاركة . . فن الحياة مع إنسان آخر تحت سقف واحد وفى سرير واحد أحيانًا أو بعض الوقت .

** ولأن الزواج الثانى يكون فى سن متقدمة نسبياً فإن النظرة المثالية والتوقعات الخيالية تكون أقل ، والرومانسية كذلك أقل ، مع التأكيد على أهمية الثقة المتبادلة والاحترام والاستقلالية .

** والمرأة فى الزواج الثانى تكون أكثر إيجابية وأكثر قوة وأكثر عطاء لكى تحافظ على استمرارية الزواج . . أى تبذل جهدًا أكثر وتضحيات أكبر وخاصة إذا كان هذا الرجل يلبى الاحتياجات التى تزوجته من أجلها . . ولهذا فقد لا يهمها كثيرًا التضحيات المادية

التى تجعل حياتها مع هذا الرجل أسهل ولكى تستمر فى شده إليها .

إنها تعلم أن دورها وموقفها ودرجة عطائها لا بد أن تختلف فى زواجها الثانى عن الزواج الأول .

زواجها الأول كان وهى فى العشرين . . وفى زواجها الثانى هى فى الأربعين أو الخمسين . . ولهذا فإن أشياء كثيرة اختلفت . . فقدت بعض قدراتها فى أشياء معينة وزادت قدراتها فى أشياء أخرى .

** ونجاح الزواج الثانى يتوقف أيضًا على نوعية احتياجات الرجل منها . . ماذا يريد هذا الرجل بالضبط من زواجه منها؟ . . وعلى المرأة أن تكيف نفسها ، ظروفها وأسلوب حياتها حسب احتياجات هذا الرجل .

** وعادة فإنه فى الزواج الأول فإن المرأة تأخذ أكثر مما تعطى ، أما فى الزواج الثانى فإن المرأة تعطى أكثر مما تأخذ . . أو أن ما تأخذه يكون له ثمن أكبر . . بمعنى ماذا تريد هى وماذا يريد هو؟ . . ما هى الحاجة الملحة لكل منهما . . وتكون العلاقة ناجحة إذا شعر الرجل أنه يأخذ ثمن ما يعطيه . . وأن تشعر المرأة أن ما تأخذه يستحق ما تعطيه .

** وكلما تقدم العمر بالمرأة فإنه قد يصعب أن تحصل على ما تريد . . أى يصعب أن تجد الرجل الذى يعطيها ما تحتاجه . . وذلك يتوقف أيضًا على ما تحتاج .

●●●

** عمومًا فإن الزواج الثانى يعتمد إلى حد ما -وفى بعض الأحيان- على قانون العرض والطلب . . ويعتمد أيضًا على مبدأ : ماذا يمكن أن تعطينى مقابل ما تريده منى ! !

●●●

** وإذا كان كل منهما يحتاج الآخر فعلاً . . وإذا كانت الاحتياجات الإنسانية والوجدانية تفوق الاحتياجات المادية بشتى أشكالها . . فإن العلاقة تكون متوازنة ومضمون نجاحها واستمرارها إلى حد كبير . . إذ يشعر كل طرف أنه لا يعطى أكثر من اللازم وأنه ليس فى موقف ضعف واحتياج ملحين وأنه لا يبذل جهدًا مضنيًا من أجل الاحتفاظ بالطرف الآخر .

** فى العلاقات الناجحة يشعر كل طرف بذاته وبأهميته وباحترامه . . وأمتع شىء هو أن يشعر أن الطرف الآخر يرغبه لذاته . . هنا تكون القرارات . . والصراعات أقل . . والتوتر فى أدنى درجاته . . ويكون الهدف الأسمى : هو كيف نعيش سعداء لكى نعوض ما فاتنا فى زواجنا الأول .

●●●

** والزواج الثانى محاط ببعض المخاطر .

** كما أن زواج الأرملة غير زواج المطلقة . . الأرملة تحمل لزوجها ذكريات طيبة بنسبة أكبر من المطلقة . . ولذا فالأرملة وبدون أن تدرى قد تظل مرتبطة بالعادات القديمة ، بأسلوب حياتها مع زوجها الراحل . . وفى كل لحظة وبدون أن تدرى تقارن . .

ومخاوفها فى البداية تكون أكبر وندمها يكون أفدح . . وقد يشعر الزوج الحالى بذلك . . وقد تؤرقه صورة زوجها الأول . . وقد تتعمد هى أن تتحدث عنه ، وقد تفلت منها عبارات توحى بالمقارنة التى تكون فى صالح الزوج الأول . . وبالطبع فإن أولادها سيؤيدون موقفها . . سيتحيزون لأبيهم . . سيدعمون لديها الإحساس والرأى بأن أباهم كان أفضل .

** وكذلك المرأة التى تتزوج رجلاً أرمل ، تظل مشاكلها إلى وقت طويل كيف كانت زوجته التى رحلت . . وبدون أن تدرى تحاول أن تقاوم أسلوب الحياة التى فرضته قبل رحيلها والذى اعتاده زوجها .

تغير من أثاث المنزل . . تغير من عادات الأكل والنوم والترفيه . . أى شىء تعرف أنه كان مرتبطًا به تحاول أن تغيره . . وأى مقاومة من الزوج للتغيير تثير غضبها وغيرتها .

إن الأمر يحتاج إلى مرونة ولباقة وصبر . . الأمر يحتاج إلى تفهم . . والتغيير لا بد أن يكون تدريجيّاً . . والتكيف على الحياة الجديدة لا يمكن أن يتم سريعًا .

إن قدرة الإنسان على التكيف على أسلوب جديد للحياة تستغرق وقتًا وتحتاج صبرًا .

والنصيحة الذهبية هى الابتعاد عن المقارنة سواء بشكل علنى أو حتى فى داخلنا . . المقارنة تفسد الحياة الجديدة .

والثقة بالنفس مهمة ، فالمرأة قد تشعر بأنها أقل كفاءة من الزوجة الأولى . . أقل جمالاً أو أقل شبابًا . . أقل ثقافة أو أقل تعليمًا

أو أقل جاذبية . . ولكن هذه الأشياء غير مهمة فى الحب وغير مهمة فى الزواج . . احتياجات الرجل من الزواج هى الحب والاهتمام والإخلاص والاستقرار .

●●●

** وقد تتعرض الزوجة الجديدة لمشاكل كثيرة من الزوجة الأولى المطلقة . . مشاكل تؤرق حياتها وتهدف إلى شيء واحد : إفشال هذه الحياة ليلحق بها مصير الطلاق مثلما لحق بها . . تخلق متاعب ومشاكل لطليقها وتفسد عليه حياته وقد تستعمل الأولاد فى مناوراتها .

ووجود الأطفال فى البيت قد يحمل الزواج الثانى أعباء كثيرة . . فالزوجان يحتاجان لوقت أكثر ليقضياه معًا . . يحتاجان لحياة مريحة أكثر ، ودرجة أكبر من الاقتراب لتهدئة الخاطر وإزالة القلق وتحقيق التوقعات ودعم الرابطة . . وجود أطفال يسرق من بعض هذا الوقت .

** وقد يصبح الأطفال طرفًا أو سببًا فى النزاعات التى تنشأ بين الزوجين ، وبذلك تأخذ المشاكل أبعادًا ثلاثية بدلاً من أن تكون ثنائية مما يزيد المشاكل تعقيدًا ويجعل حلها أصعب وآثارها أبقى .

** والأطفال سواء أبناء الزوج أو أبناء الزوجة يكونون أقل سعادة فى البيت الجديد . . ومن الصعب أن يقبل أبناء الزوج أن تحل سيدة جديدة مكان أمهم . . وأكثر صعوبة أن يقبل أبناء الزوجة أن يحل رجل آخر مكان أبيهم .

إذن هناك حالة رفض قد يعلنها الأطفال صراحة أو قد يخفونها ولكن تظهر بصور أخرى تهدف إلى خلق المشاكل فى البيت وتشويه صورة الزوجة الجديدة لدى أبيهم، أو تشويه صورة الزوج الجديد لدى أمهم.

وتظل الصراعات مستمرة ظاهرة أو خفية وذات تأثير سلبى على جميع الأطراف.. إلا إذا بذل الزوجان جهدًا واعيًا فى احتواء مشاعر الأطفال المضطربة وتفهمها وعدم إثارتها ليتكيفوا ويقبلوا الوضع الجديد.

وفى بعض الأحيان تنجح جهود الزوجين إلى درجة أن الأطفال يرتبطون عاطفيّاً بالرجل الجديد الذى اقتحم حياتهم أو المرأة الجديدة التى أزاحت أمهم.

** وتبذل الزوجة جهدًا زائدًا فى العناية بأطفال زوجها وذلك للحساسية التقليدية والمفهوم الشائع عن زوجة الأب.. كما يضطر الزوج إلى بذل نفس الجهد الزائد للاستحواذ على قبول وعواطف أبناء زوجته.

وحزمه مع أطفالها قد يقابل بالرفض والشك، وكذلك حزمها مع أطفاله قد يقابل بنفس الرفض والشك.. ولهذا فإن الأساس الأول الذى يجب أن تبنى عليه العلاقات الجديدة هو الثقة.. الثقة فى حسن النوايا وصدق المشاعر ونبل الهدف وذلك يتطلب حبّاً ونضجًا.

** والأفضل أن يحاول كل طرف من الأطراف الثلاثة أن يكون طبيعيّاً وتلقائيّاً وأن يفصح عن مشاعره وأفكاره بوضوح وبساطة..

أى أن يكون نفسه . . وألا يتعمد أن يبذل حبّاً زائدًا أو اهتمامًا مبالغًا فيه حتى لا تزداد حيرة وصراع وشك الأطراف الأخرى .

** وتزداد المشاكل إذا كان هؤلاء الأطفال قد وصلوا إلى سن المراهقة أو تعدوها إلى أعتاب فترة الشباب حيث تزداد احتياجاتهم وتزداد مشاكلهم ويزداد تدخلهم فى حياة الزوجين ويزداد تأثيرهم . . يستمع الزوج لأبنائه باهتمام أكثر ويقيم وزنًا أكبر لآرائهم ويبذل جهدًا أكثر لإرضائهم . . وكذلك الزوجة تعتمد على أبنائها لتدعيم موقفها وتقوية ذاتها وقد تتوحد معهم فى صراعها ضد زوجها إذا نشأ بينهما خلاف وتشعر أن أولادها هم السند والحماية .

إن ذلك خطأ قاتل يقع فيه الرجل وتقع فيه المرأة . . لأن الأبناء قد يتعمدون أن تصل الأمور إلى هذا المأزق الحرج وتكون تلك هى مبارياتهم المفضلة فى أن يعطوا الأب أو يعطوا الأم إحساسًا زائفًا بالتوحد والتكتل ضد الطرف الآخر ، وبذلك ينجحون فى خلق العداوة الحقيقية بين الزوجين والتى تهدد الزواج الثانى تهديدًا فعلياً بالفشل .

** ولكن علينا أن نراعى أن الأطفال قد يتعرضون لمعاناة حقيقية إذا أقدمت أمهم على الزواج بعد طلاقها أو بعد موت أبيهم : يضطرب نومهم . . يفقدون شهيتهم للطعام . . يضطربون فى الدراسة . . يصعب التركيز . . تزداد العدوانية . . يحدث التبول الليلى اللا إرادى . . إلى آخر قائمة طويلة من المشاكل النفسية

والعضوية . . يجب أن نتقبل أنها صدمة نفسية ليست هينة أن يعيشوا مع إنسان غير أبيهم أو غير أمهم . . إنهم معذورون . . ولكن الأب والأم معذوران أيضًا . . وعلينا أن نوازن ونوفق بين أعذار الجميع .

** هكذا الحياة . . محاولات متصلة للتوفيق بين احتياجات ورغبات متعارضة .

** وتزداد المشاكل بالقطع إذا عاش أطفالها وأطفاله معًا فى بيت واحد . . يظهر شىء جديد وهو المنافسة القاسية ومحاولة كل طرف أن يدعم أبناءه ويتيح لهم الفرصة للتفوق والبروز وأن يكونوا أفضل فى كل مجال .

** وقد يثمر الزواج الجديد عن أطفال جدد إذا كانت المرأة فى سن يسمح لها بالإنجاب . . والأطفال الجدد يكونون وحدة جديدة مختلفة عن الأطفال الآخرين . . أطفاله وأطفالها . . فالأطفال الجدد ليسوا أشقاء لأى من أطفاله وأطفالها . . وعادة مجىء أطفال جدد يدعم العلاقة فى الزواج الثانى ويقلل من التوترات والصراعات ويقلل اهتمامهما الزائد وتحيزهما لأطفالهما السابقين .

** الطفل الجديد يجمع طرفى الزواج الثانى على هدف جديد ويفتح لهما آفاقًا لمشاعر جديدة تثرى حياتهما . . من أقوى دعائم الربط بين اثنين هو الطفل لأنه يمثل نسيجًا مشتركًا تخلق من كل منهما . . قطعة من كل طرف . .

الطفل هو تجسيد مادى ومعنوى للعلاقة . . أى علاقة بدون أطفال من الممكن أن تنتهى وأن تموت . . ولكن العلاقة التى أثمرت طفلاً لا يمكن أن تنتهى ولا يمكن أن تموت لأنها تظل مجسدة فى هذا الطفل . . ولذا فإن كثيراً من العلاقات لها أن تستمر بسبب وجود هذا الطفل وخاصة إذا كان قد جاء عن رغبة حقيقية مشتركة ليعبر عن عمق الارتباط والحب وكذلك أبدية الارتباط .

** إن الزواج الثانى أمر ليس هينًا، إنه يحتاج إلى أرضية صلبة من الفهم وحسن النية . . يحتاج إلى نضج وحب لكى يكتب له الاستمرار .

** إن كثيراً من المشاكل سببها سوء الفهم، وقليل من المشاكل سببها سوء النية .

***

.. طفل مرفوض

** يندهش الإنسان إحيانًا إلى حد الغضب حين تواجهه الطبيعة بوجه غير مألوف، حين تفاجئه بالجانب الشاذ، وحين تتحداه بانحرافها.

** ينزعج الإنسان إلى حد الخوف حين ينتابه الشك فى البديهات فتنهار حتميتها وثباتها واستقرارها وتسقط مصداقيتها.

** ينقبض الإنسان إلى حد الاكتئاب حين يسقط قناع البراءة كاشفًا البراءة كاشفًا عن شيطان، حين تُنتزع الرحمة من قلب ملاك، وحين يُزيح الشر الخير من قلب مؤمن.

** يُصعق الإنسان إلى حد الجنون حين يرى السماء تمطر سماً، حين يرى الجذور وهى تتمرد رافضة إمداد ساق النبات وأوراقه بالحياة، وحين يرى القلب عاصيًا ورافضًا أن يدفع الدماء إلى الجسد.

** وأيضًا لا يصدق عقل إنسان أن أمّاً ترفض ابنها أو أمّاً تكره ابنتها.

** ولكن هذا يحدث وله أسبابه الدفينة والعميقة فى قلب هذه الأم المسكينة والتى قد نتهمها بالجمود أو بالجنون وأن لها قلبًا من حجر.. نكرهها لأنها خيبت التوقعات، وحطمت البديهات، وكسرت المطلق، وقلبت الموازين وزعزعت الاستقرار وأقلقت ضمير الكون.

** وفى غمرة اندهاشنا وغضبنا وقلقنا ننسى أنها إنسانة . . وأن هناك فرقًا بين تدفق النهر وثبات البحيرة الصناعية . . تهطل الأمطار فتحفر طريقًا تلقائياً وتخلق مسارًا طبيعيًا يموج بالحركة والحياة يثور ويهدأ، يرتفع وينخفض ليفيض ويبخل . . كل ذلك بفعل عوامل طبيعية ومؤثرات كونية .

** هكذا الأم . . الطبيعى والمنطقى والبديهى أن تفيض بالحب . . والحنان والاهتمام بلا كلل وبلا مقابل . . هكذا صمم الخالق عز وجل وجدانها وشكل عواطفها وصنع قلبها من أجل استمرار الحياة فى أفضل صورها (وليس أكملها) .

** ولكن لأن كل شىء فى الكون أراد له الله أن يكون طبيعيّاً وتلقائيّاً وخاضعًا للقوانين الكلية . . فإن هذه الأم عاشت سلسلة من الخبرات والصدمات وعانت من آلام وإحباطات وانتصارات ومرت بأفراح وأحزان .

** هذه الأم عاشت خبرة الابنة مع أمها فطبعتها وأثرت فيها لتعيشها مرة أخرى مع ابنتها . . إنه إرث ينتقل من الجدة إلى الأم إلى الابنة أو الابن .

** وعلاقة الأم بطفلها رغم بديهية الحب غير المشروط الذى يحكمها إلا أنها مثل أى علاقة إنسانية تنمو وتتطور، وتؤثر فيها سلبًا وإيجابًا عوامل موضوعية بعضها إرثى وتاريخى وبعضها يرتبط بالواقع المباشر .

** ويجب ألا نشعر بالصدمة ونحن نسمع عن الأم التى تهمل طفلها أو تقسو عليه إلى حد الإيذاء الجسدى والنفسى أو ترفضه

تمامًا . . فهى أم غير سعيدة . . أم تعانى . . أم تحتاج إلى مساعدة نفسية .

وكما أن الطفل فى حاجة إلى أم . . فإن الأم فى حاجة إلى طفلها ، فهو يغذى مشاعرها بأفخم الأحاسيس وأكثرها ثراء . . أن الذات الحقيقية للمرأة تتحقق وتتأكد مرتين : مرة وهى تجلس فى قلب رجل ، ومرة وطفلها يجلس فى قلبها .

** إذن هذا الارتباط هو حاجة متبادلة بين الأم والطفل . . للطفل حاجات بيولوچية تدفعه للاقتراب والارتباط بأمه . . فهو يبكى من الخوف والجوع والألم والقلق . . وحين تلبى الأم حاجته فهو يبتسم ويصدر أصواتًا تنم عن سرور وارتياح ويتابع أمه بعينيه . . كل ذلك يحرك مشاعر الأمومة ويدعم العلاقة . . وإذا سلمته الأم لشخص غريب فإن الطفل يحتاج إلى أن يعود إلى ذراعى أمه برغم تلبية احتياجاته عند الأم البديلة .

إن هذا معناه أن الأم الحقيقية تلبى احتياجات أخرى غير الاحتياجات البيولوچية . . وذلك هو السر الأعظم الذى يشكل طبيعة العلاقة بين الأم والطفل .

إن الطفل لا يحتاج فقط إلى أصابع أمه ولكن يحتاج إيضًا إلى المجال العاطفى الذى يشع منها ويحيط بها فيشمل الطفل ويغذى احتياجه إلى الحب والانتماء .

** هذه العلاقة قد تضطرب منذ اليوم الأول الذى تلتقى فيه الأم مع طفلها وربما قبل دلك وهو مازال جنينًا فى رحمها . . ربما

منذ اللحظة التى تم فيها الإخصاب. . لحظة رفضتها وارتبطت بأسوأ المشاعر. . وتظل ذكريات هذه اللحظة التعسة مرتبطة للأسف بهذا الطفل المسكين لهذه الأم المسكينة.

** الأم قد ترفض ابنها منذ لحظة ميلاده. . فتشعر ناحيته باللامبالاة. . بالعداء. . تهمله. . تقسو عليه.

** ولأن السنوات الأولى فى حياة الطفل تشكل شخصيته وبناءه النفسى وكيانه العاطفى وذلك من خلال علاقته بأبويه. فإن اضطراب علاقته بأمه يخلق التربة التى تنتعش فيها شتى الاضطرابات العاطفية والانفعالية والسلوكية.

الأم وهى تعطى حنانها واهتمامها فإنها فى نفس الوقت تساعده على تكوين شخصيته الاستقلالية واعتماده على نفسه. . وإذا لم تقدم له الإحساس بالأمان فإنه سيظل متعلقًا بها بشكل مرضى مقلق وسيسعى دائمًا للحصول على الاهتمام. . سيكون مندفعًا يحبط بسرعة، عدائى المشاعر، سلبى، تسيطر عليه مشاعر العجز والعدوانية.

إن الاحتياج للارتباط ينمو مع الطفل وهو الذى يدفع إلى حب إنسان من الجنس الآخر وحب الأصدقاء وأيضًا يؤدى إلى الاحتباس بالأسى والحزن إذا فقد هؤلاء الناس.

** وارتباط الأم بالطفل يتراوح من مجرد قبوله والاهتمام الروتينى به إلى التفرغ الكامل له وإعطائه حنانًا بالغًا ورعاية فائقة والدفاع عنه بحياتها.

** ولكن بعض الأمهات وأيضًا بعض الآباء يكونون غير قادرين على إعطاء الحب لأطفالهم، وقد يتعرض هؤلاء الأطفال لقسوة شديدة تدمى الجسد والنفس.

** والغريب.. أن هذا الطفل الذى يتعرض للرفض والعقاب القاسى وإساءة المعاملة يظل مرتبطًا بهذه الأم مقبلاً عليه ويظهر لها دائمًا حبه واحتياجه لها، ويظهر تحملاً غير عادى لقسوتها وإيذائها له.. وقد تتحجر دموعه وهو يتعرض للضرب والإهانة ولكنها تعود فتنساب وهو يجلس وحيدًا أو وهو فى فراشه.. يعتصر الحزن قلب هذا الطفل، وينطوى على حزنه وتضطرب صحته ويضطرب سلوكه ويزداد تعلقه بأمه ويرفض أى بدائل.

** ويتأثر الطفل برفض أمه أكثر مما يتأثر برفض أبيه.. فارتباط الطفل بالأم أعمق وله جذوره البيولوچية قبل النفسية، ورغم النفور والرفض فإن الحب يظل متصلاً لا ينقطع حتى الموت.

** لماذا تنفر الأم من طفلها وترفضه؟!

١- الأم ليست رحمًا ومبيضين فقط.. الأم كيان أنثوى. وإحساسها بأنوثتها يسبق وعيها بأن لها رحمًا ومبيضين، إنه إحساس يتكون ويتأصل منذ مرحلة مبكرة من عمرها.. والأنوثة ليست صفة جنسية وإنما هى إحساس شامل بالانتماء إلى جنس معين له خصائصه وله دوره.. فهناك صفات أنثوية وهناك دور أنثوى.

هذه الصفات تعطيها قوة جذب تشد بها إنسانًا من الجنس الآخر، وتنشد هى نحوه لتتكون علاقة تلبى احتياجات عقل وقلب وجسد. . تتحقق رغباتها وتلبى هى رغبات الطرف الآخر.

إذا فقدت المرأة بعض هذه الصفات. . أو إذا توهمت هى (شعوراً بالنقص) إنها تفقدها اضطراب إحساسها بأنوثتها اضطراباً شديداً.

** أما الدور الأنثوى فهو قدرتها على العطاء. . العطاء لرجل. . والعطاء لطفل. . ولا يكتمل إحساسها بأنوثتها إلا حين تؤدى هذا الدور. . لأسباب كثيرة يضطرب إحساس المرأة بأنوثتها. . وبذلك تفشل فى أداء دورها أو يضطرب هذا الدور.

وفيما يتعلق بعلاقتها بطفلها فإن ما تعانيه من اضطراب فى إحساسها بأنوثتها يجعلها تشعر بالنفور من طفلها. وترفضه. . تهمله. . تبعده عنها ترفض أن تلمسه بعد ولادته. . ترفض أن تنظر إليه أو تطالعه باندهاش واستغراب واغتراب. . تشعر أنه منفصل عنها. . أنه لا ينتمى إليها. . وكأنها غير جديرة به أو هو غير جدير بها. . وكأنه من امرأة أخرى. . وأن امرأة أخرى أولى به.

هذه إنسانة مضطربة. . لديها اضطراب أولى وأساسى فى كيانها. . فى ذاتها. . سمات وصفات ومقومات الأنوثة أو هى فاقدة الثقة بنفسها، وبقدراتها وإمكانياتها ومواهبها كأنثى. . هى أنثى منقوصة وبالتالى غير صالحة لأداء دورها الأنثوى كأم.

** وهذه الأم التى تعانى من مشكلة فى أنوثتها تبالغ فى المظاهر الأنثوية الشكلية لتعويض النقص الداخلى الذى تشعر به. . تبالغ فى زينتها ومظهرها وتكشف أكبر قدر مباح به من جسدها. . تقلق

من تقدم العمر وتنزعج حين يكبر أطفالها ويزدادون طولاً وتبدأ المنافسة والصراعات مع ابنتها التى يشير شبابها إلى اقتراب شيخوخة أمها.

٢- وعلاقتها بزوجها تؤثر على مشاعرها تجاه طفلها.. حب زوجها لها يمتد من قلبها إلى طفلها.. واهتمام زوجها لها تترجمه أصابعها وعيونها إلى حنان مبالغ فيه لطفلها.

إن أى حب واهتمام فى حياة الزوجة يؤثر على مشاعرها تجاه طفلها.. فإذا عانت من كراهية زوجها أو اعتراضه أو إهماله تلوثت مشاعرها كأم.. فمن هذا الرجل أتى هذا الطفل.. وما كان ينبغى أن يأتى هذا الطفل إلا من حب هذا الرجل.. فإذا جاء بلا حب فلماذا جاء!!

إن مجيء طفل هو تجسيد للحب لا لمجرد نزوة أو رغبة أو واجب أو حتمية.

** إن الحب هو الذى يدفع بالبذرة إلى أحضان رحم الأم لتتلقفها البويضة لتنمو نبتة الحب.. فإذا كانت البذرة مدفوعة بالكراهية، وإذا كانت البويضة تلقتها بنفور.. فأى نبتة تلك!! ستكون حتمًا نبتة الكراهية.. ولهذا أنا أرفضها منذ لحظة تخليقها الأولى.. وستظل تنمو بين أحشائى بلا حب.. وسيخرج طفل منى لا أقوى على النظر إليه أو لمسه.

** تلك هى المشاعر الرافضة للأم والتى عانت مع زوجها.

والغريب فى الأمر أن الأم لا تنسى أبدًا مشاعرها التى صاحبت لحظة الإخصاب.. أى اللحظة التى جمعتها بزوجها ونتج عنها

بداية هذا الطفل . . هذه اللحظات تشكل مشاعرها المستقبلية تجاه طفلها . . إذا كان الزوج قد أقبل عليها حبّاً واهتمامًا وحنانًا ورغبة فى اللقاء ومن أجل طفل منها يحبه لأنه منها . . فإن الأم لن تنسى اللحظات السعيدة التى صاحبت مجىء هذا الطفل السعيد .

** أما إذا كان الزوج قد أقبل عليها كراهية واضطرارًا أو لرغبة عابرة تستوى فيها زوجته مع أى امرأة . . فإن الأم لن تنسى هذه اللحظات التعسة . . تتذكر مشاعر الكراهية والنفور والحنق والعداء والرفض والاشمئزاز واللا استجابة التى سيطرت على وجدانها وقت هذا اللقاء الكريه .

٣- ومقدرة المرأة على أن تكون أمّاً طبيعية ترتبط إلى حد كبير بخبرتها مع أمها . . إذا كانت قد عاشت طفولة مع أمها أساسها الحب والتقدير فسيمكنها أن تعطى بنفس القدر لابنتها . . إن الابنة تعانى أكثر من الابن فى العلاقة مع الأم التى عانت من أمها فى طفولتها .

** والابنة تكون حساسة بدرجة أكبر لأدق المشاعر الصادرة عن الأم . . حساسية تفوق حساسية الابن . . فالأم بالنسبة للابنة هى المثل الأعلى والنموذج الذى يجب أن يحتذى وصورة الأنثى الحقة . الابنة تقلد الأم فى كل شىء وخاصة فيما يتعلق بالمظاهر الأنثوية فى الملبس والحركة وطريقة الكلام والتزين وأيضًا فى مواقفها التى تتبناها تجاه الجنس الآخر ، فهى التى تشكل أفكارها وآراءها ومشاعرها واهتماماتها واتجاهاتها فى كل مواضيع الحب والجنس والرجل . . وتكون الابنة حساسة أيضًا لمظاهر وحقيقة العلاقة بين أمها أو مع أى رجل آخر .

إن الذى تتوقعه الابنة من الأم هو الاحتواء الكامل ومحاولة صياغتها على الصورة الأمثل للأنثى والتضحية الكاملة من أجلها وإنكار الذات وإبراز صفاتها الأنثوية وعدم الدخول معها فى مناقشة، بل إن الابنة تتوقع أن تتراجع الأم خطوة للوراء لتترك المجال لابنتها لتأكيد ذاتها ومكانتها كأنثى.

الابنة عانت من أمها . . الأم الأنانية العاشقة لذاتها المنصرفة لاهتماماتها الخاصة الحريصة على كل مظاهر أنوثتها على حساب واجباتها كأم . . الأم المسيطرة التى تخنق أحاسيس ابنتها وتئد مشاعرها وتسحق ذاتها كمشروع أنثى تتفتح تحاول أن تنتقل من برعم إلى ثمرة ناضجة . . الأم التى تنافس ابنتها وتقلل من قدرها وتحط من قيمتها وتسخر من إمكانياتها . . الأم التى تفضل ابنة على أخرى إلى حد عدم الإحساس الكامل بوجود هذه الأخرى وتجاهلها . . إلى حد الإحساس بالعار من تواضع جمالها وتراجع أنوثتها وسخافة عقلها وانحراف طباعها.

ولا شىء يفسد علاقة ابنة بأمها أكثر من تفضيلها لابنة أخرى عليها.

إن مشاعر القهر والإحباط والدونية والنبذ والاحتقار والإهمال التى تعانى منها هذه الابنة تترك آثاراً دامية فى مشاعرها وموقفها كأم فى المستقبل.

إن التاريخ حقاً يعيد نفسه . . ستقوم بأداء نفس الدور مع ابنتها . . إذا اضطربت علاقة الأم بابنتها، فإن هذه الابنة حين تصير أماً ستضطرب علاقتها بابنتها بنفس الشكل وبنفس القدر.

أكرهك كما كرهتنى أمى . . أحقد عليك كما حقدت علىّ أمى . . أغير من شبابك كما غارت منى أمى . . أفضل أختك عليك كما فضلت أمى أختى علىّ . . سأهملك وأنبذك كما أهملتنى ونبذتنى أمى . . سأدمر أنوثتك كما دمرت أنوثتى أمى . . سألغيك كامرأة كما ألغتنى أمى . . سأجعل حياتك مع كل الرجال صعبة ومستحيلة كما فعلت معى أمى . . سأجعلك تشعرين بالنقص فى أنوثتك كما أفقدتنى أمى الثقة بنفسى . . سأجعلك تقلقين من أجل اهتمام رجل وتشعرين أنك غير جديرة بهذا الاهتمام . . وأتوقع أن تفشلى كأم كما فشلت أمى وكما فشلت أنا أيضًا . . ستكونين تكرارًا لفشل كل الأمهات فى عائلتنا . . عائلة الإناث الفاشلات .

** هذه الفتاة أو هذه الابنة «أو هذه الأم»عانت من مشاعر أمها الباردة فكرهتها وتمنت موتها . . وهى الآن تعامل ابنتها بنفس الطريقة حتى تثير لديها نفس المشاعر التى شعرت بها تجاه أمها فى السابق . . أى هى تدفع ابنتها لتكرهها مثلما هى كرهت أمها فى الماضى .

٤- قد تفزع الأم حين ترى طفلها لأول مرة بعد ولادته فلا تشعر بالارتياح نحوه . . كانت تتوقع أن تحبه ولكن مشاعرها باردة تجاهه . . وقد تعرف سبب عدم حبها له ، وقد يكون السبب كامنًا فى اللاشعور وهو أن هذا الطفل جاء شبيهًا لإنسان تكرهه أو تخافه . . فهو يحمل نفس الصفات الشكلية لهذا الإنسان الذى لا تحبه . . وقد يأتى بنفس حركاته . . وقد يسلك

بطريقته . . أو هو يشابهه إلى حد التطابق فى الطباع والعادات والأخلاق . . قد يشبه الطفل زوجها أو أباها أو أمها أو شقيقها .

وقد تكره فى الطفل أنه يشبهها فى بعض صفاتها التى تكرهها فى نفسها . . وهذا يحدث مع الابنة عادة وعلى المستوى اللاشعورى . . أى هى لا تدرى السر فى رفضها لابنتها . . إنها ترفضها لأنها تشبهها . . تشبهها فى بعض صفاتها . . وهى تكره هذه الصفات فى نفسها . . ترفضها ولكنها لا تملك أن تغيرها . . لم تستطع أن تفلت منها . . حاولت ولكنها لم تستطع .

هذه الصفات تدفعها إلى سلوك لا ترضى عنه ولكنها لا تستطيع أن تقاومه . . رغبات اندفاعية قهرية تستسلم لها ثم تندم عليها وتكره نفسها من أجلها . . ولهذا أكرهك يا ابنتى مثلما أكره نفسى ، أو أكره هذا الجزء فيك مثلما أكرهه فى نفسى . . تكره ميلها للانحراف ، أو غرورها وتعاليها على الناس ، أو كراهيتها للآخرين وتلذذها بإيذائهم ، أو برودها وعدم اهتمامها ، أو أنانيتها وبخلها أو تغاضيها عن كرامتها وحبها للذل أو عدم ميلها للرجال وفشلها كأنثى .

إن هذه الابنة جاءت لتذكرها بما هو سيئ فيها وما تكرهه فى نفسها .

٥- ترفض الأم طفلها لأنه جاء بدلاً للطفل الذى مات . . حملت فيه مباشرة أو بعد حين من وفاة طفلها ، والطفل الذى مات ترى الأم أنه كان طفلاً مثالياً موهوبًا ذكياً ، وأن الطفل الذى جاء من بعده لن يصل إلى مستواه .

وعادة فإنه لا شىء يعوض الطفل الذى ضاع . . وهذا الرفض له دوافعه الكامنة فى اللاشعور أيضًا إذا شعرت هذه الأم بتأنيب الضمير لأنها استمتعت بعلاقة مع زوجها أثمرت هذا الطفل الجديد والذى أراد به أن يعوضا فقدهما للطفل الذى مات وتلك خيانة له ولذكراه .

إن الطفل الذى يجىء بعد وفاة الطفل الذى سبقه يحاط بمشاعر مضطربة ومختلفة من الوالدين قد تؤدى إلى رفضه ونبذه وإهماله . . ولذا يجب أن تتمهل الأم قبل الإتيان بطفل جديد حتى تخفى إلى حد كبير مشاعر الأسى على طفلها الذى مات .

٦- وأحيانًا يكون هناك تعارض وصراعات بين احتياجات الأم واحتياجات الطفل . . وخاصة الأم العاملة الطموحة التى يشغلها إلى حد كبير طموحاتها خارج البيت وخارج نطاق أنوثتها ودورها كأم .

هذه الأم تنزعج كثيراً بطلبات الطفل الملحة والتى تتطلب تفرغًا واهتمامًا وإرهاقًا وتضحية تعوقها عن اهتماماتها الشخصية المرتبطة بتحقيق ذاتها خارج النطاق الطبيعى لكل زوجة وكل أم .

وقد يتسبب ذلك فى صراع تعانى منه بعض الوقت ، ولذلك بأن تشعر بالرفض تجاه طفلها وتقذف به إلى من يهتم باحتياجاته البيولوجية المادية ولكنه يظل مفتقداً للاحتياجات العاطفية والتى لا تستطيع أن تقدمها إلا الأم الحقيقية المتفرغة .

هذه الأم لها مشاكلها المتعلقة بإحساسها بذاتها وكيانها وهويتها ومكانتها . . إنها تبحث عن شىء مفقود لا وجود له ، ولن

تستطيع العثور عليه لأنه شيء وهمي وغير حقيقي ولكن يشغل بالها ويملأ خيالها . . ولأنها لا تريد أن تفقد أي شيء .

ولأنها تريد أن تحصل على كل شيء، ولأنها تريد أن تبدو كاملة أمام الناس وأمام نفسها فإنها تتزوج وتنجب، ولكن هذا لا يحقق لها إرضاء أو إشباعًا فتبدي اهتمامًا ظهريًا ولكنها تهمله إهمالاً حقيقياً وتدير ظهرها لتبحث عن الشيء الوهمي المفقود . . وهي فعلاً قد فقدت شيئًا ولكنه داخلها . . إنه الثقة بالنفس والاطمئنان لأنوثتها والتقدير لدورها .

وقد يدفعها زوجها لإهمال طفلها وتركه إذا كان هو أيضًا مشغولاً بطموحاته ويريدها أن تكون معه متفرغة لتساعده في نشاطاته . . أو يريدها للاهتمام به هو شخصياً . . وتشعر هي أنها ستفقده إذا لم تسخر نفسها لراحته وإرضائه حتى على حساب اهتمامها بطفلها . . ولذا فإنها شعورياً بعض الشيء ولا شعورياً تبتعد عن طفلها وربما تنفر منه وتنبذه .

***

هذه هي أسباب رفض الطفل . . وهذه الأم تحتاج لمساعد مثلما يحتاج طفلها المرفوض .

** والمشكلة أنها لا تستطيع أن ترفض الطفل من كل حياتها . . لا تستطيع أن ترفضه حتى الموت . . وإذا ابتعد عنها بعض الوقت فسيعود إليها ويقبل عليها، وكلما قست عليه أقبل ناحيتها أكثر، وبالتالي يؤجج لديها الصراع، فتقسو أكثر .

هذا الطفل بإقباله وخضوعه وتذلله يستفز الجزء السادى داخلها . . وفى أحيان أخرى يعرض هذا الطفل عنها ويبتعد ويتقرب من أبيه ويهمل أمه أو يعاملها بجفاء أو يظهر كراهيته (المؤقتة) لها، وهنا يستفز مازوخيتها فتقبل عليه . . وتتفنن فى إرضائه .

وهكذا تتأرجح بين الإقبال والإدبار، الحنان والقسوة العطف والعدوان . . إرهاق لها وإرهاق للطفل ومزيد من الإفساد لأقدس علاقة .

** أحد مظاهر قسوة هذه الأم يبدو فى فرض نظام صارم يلتزم به الأطفال، وهذا النظام فى ظاهره يهدف إلى تنشئة الأطفال تنشئة مثالية . . تهتم بطعامهم وملبسهم ودراستهم بأسلوب عقابى تهديدى يضايق الأطفال أكثر مما يسعدهم . . وتسعد هى بضيقهم وتذمرهم .

***

هذه الأم تحتاج لمساعدة لتعرف مصدر مشاعرها السلبية تجاه أبنائها أو تجاه ابن معين أو ابنة معينة بالذات .

يجب أن تتعرف على صعوبات الماضى واحتياجات الحاضر .

أن تتعرف على مصادر شقائها من حاضرها غير السعيد .

يجب أن ترى أطفالها بعيداً عن متاعب الماضى وآلام الحاضر . . وهذا يحتاج إلى علاج نفسى .

***

أم تعذب طفلها

المرأة تتوق إلى علاقة، بينما الرجل قد يهرب منها.. المرأة تريد أن تتوحد وتندمج.. أما الرجل فيريد أن تكون هناك مسافة.. المرأة تحب الالتزام والإلزام، أما الرجل فيعشق الحرية.. المرأة تصبر كثيرًا وتثابر، أما الرجل فيمل ويضجر.. والرجل يخرج طاقته العدوانية فى اتجاه الآخرين.. أما المرأة فتوجهها إلى ذاتها أو إلى شيء عزيز عليها.. الرجل يدمر الآخرين.. أما المرأة فتدمر نفسها.. تعبر عن إحباطاتها بإيذاء نفسها.. تأكل كثيرًا أو تمتنع عن الأكل.. تنزع شعرها.. تجرح وجهها.

المرأة قد تكتم مشاعر الغضب والحقد والعداوة وتوجه عنفها إلى أقرب الناس إليها.. إلى أعز الناس.. أو إلى نفسها.. تسيء إلى نفسها.. فتسرق مثلاً أشياء تافهة لا تحتاج إليها.

معظم السارقات من السيدات يسرقن بلا احتياج مادى.. وقد تشعر بلذة روحية أو جنسية تصاحب السرقة أو حين تؤذى نفسها أو تؤذى زوجها أو تؤذى ابنها الصغير أو الرضيع.

إنه عدوان كامن وعداوة مختفية تخرج فى هذه الصورة الغريبة.. قد يكون اكتئابًا.. وقد يكون ركودًا وبرودًا فى حياتها.. إنها هنا تسعى للإثارة.. وقد يكون إحباطًا عاطفياً وجنسياً وإنسانياً.. شعور بالنقص واهتزاز الثقة بالنفس من واقع

مؤلم تعيشه أو من خبرات فى الماضى أجهزت على إحساسها بذاتها وهى طفلة.

** هذه الأم يكون لديها مشاعر غريبة تجاه طفلها . . تشعر بقوتها وسيطرتها عليه وخاصة إذا كانت محبطة فى مجالات أخرى بالذات فى علاقتها بزوجها ويكون طفلها هو ضحيتها . . إنه بضعفه يشبع إحساسها بالسيطرة والقوة والبطش .

** هذه الأم لا ترى ابنها ككيان مستقل . . ولكنها تشعر بأنه جزء منها أو جزء من زوجها أو جزء من أمها أو شقيقتها أو شقيقها . . ولذا فهى حين تؤذى هذا الطفل . . فكأنها توجه العدوان لذاتها أو لأى من هؤلاء الآخرين .

** تقوم الأم بضرب طفلها بقسوة شديدة إلى حد الإيذاء البدنى الشديد وينطوى ذلك على رغبة فى تعذيب الطفل وتستزيده كلما صرخ من الألم وتكرر ذلك بسبب أو باختلاق سبب . . وفى ذلك الوقت تشعر الأم بأنها لا تحب طفلها وأنه طفل صعب . . تنتهز فرصة عدم إطاعته لأوامرها الصعبة فتضربه مبررة ذلك بأنها تقوم بتربيته ليكتسب العادات السليمة . . وقد يصعب على الطفل إطاعة أوامرها والالتزام بتعليماتها . . وهنا تشعر الأم بالفشل وتشتعل ثورتها وتشتد قسوتها على الطفل .

** هذه المرأة مندفعة حادة المزاج وحادة الطباع تنفجر دائمًا فى ثورات عارمة وتؤذى من تطوله يدها ولسانها من الضعفاء وخاصة أطفالها . . وذلك يحدث دائمًا أو فى معظم الأحيان

مباشرة عقب إحساسها بالإحباط بعد مناقشة مع زوجها أو أمها أو حماتها.

إن إحباطها وشعورها بالمهانة يثير كل أحاسيس القسوة والعنف داخلها عندئذ توجهه إلى الضعفاء الذين يخضعون لسيطرتها كأطفالها أو الخدم.. وقد لا تجد حولها من تفرغ فيه عدوانيتها، وفي هذه الحالة تشعر وكأنها معزولة عن العالم.

** هي ذاتها في حاجة إلى الحب والاهتمام.. هذه السيدة تشعر أن أحدًا لا يحبها.. وأن أحدًا لا يهتم بها.. وقد تشعر أنها منبوذة ومكروهة وأن عليها أن تبذل جهدًا لتشترى حبًا غير حقيقى واهتمام زائف.

هذه الأم تنزعج حين ترى طفلها عاجزًا وفى حاجة إلى اهتمامها وحبها بينما هى غير جديرة بإعطاء هذا الحب.

فى تلك اللحظة ترى طفلها وكأنه حيوان مخيف يكشف ضعفها وعجزها عن الحب ويجذب مشاعرها إلى أسفل، وترى العالم كله لا يكف عن نقدها وجرح مشاعرها وإشعارها بفشلها كوجه وكأم.

وإذا حاول أحد أن يهدئ من ثورتها أو حاول أن يداوى جراح الطفل البدنية والنفسية فإن ثورتها تزداد وتتعمد توجيه مزيد من العنف نحو طفلها.. تكون كالبركان الثائر الذى لا يمكن لأحد إيقاف النار المندلعة من جوفه والذى يستمر يقذف بها كل من حوله بلا وعى وبلا هدف ومن أجل لا شيء.

يتصاعد الغليان داخلها ولا تقوى على مزيد من المقاومة فتنفجر بلا رحمة وتستمر وتستمر حتى تشعر بالهدوء والراحة فتكف . . ويستثيرها مقاومة الطفل ويستثيرها أيضًا استسلامه .

** والأمر قد يصل إلى حد من الصعب تصديقه حين تؤذى طفلها بالنار كأن تحرقه بسيجارة مشتعلة أو بمكواة ساخنة .

إن هذا يعنى قمة اضطرابها الوجدانى وأحيانًا توجه لهذا الطفل أفظع الشتائم وبعضها شتائم جنسية بمعنى أنها تنال من كرامة الطفل الصغير أو شرف الطفلة الصغيرة .

** وليس هذا سادية فقط ولكنه يحتوى على قدر كبير من المازوخية أيضًا، فالطفل الذى تؤذيه هو جزء منها ولذا فإنها وهى تفعل ذلك فكأنها تؤذى نفسها . . إنها فى احتياج لمثل هذا الألم مثل المرأة التى تجرح وجهها وتشوهه أو تنزع شعرها أو تعرض نفسها للخطر حين تسرق أو تسرف فى الطعام ليزداد وزنها وتفسد شكلها أو تمتنع عن الطعام إلى حد النحافة الشديدة .

** والإيذاء النفسى للطفل لا يقل ألمًا وأضرارًا عن الإيذاء الجسدى . . فالأم قد لا تتوقف عن تحقير طفلها وإهانته والإساءة إليه ولا تظهر ناحيته أى عواطف أو اهتمام بل وتؤكد عليه . . إنها حالة من قتل الروح . . المحاولة المدبرة المستمرة لقتل أحاسيس الفرح عند هذا الطفل .

** وهنا يتمزق الطفل وتضطرب أفكاره وأحاسيسه ويسأل نفسه : لماذا تعاملنى أمى أو يعاملنى أبى هكذا؟

إن أى أب وأى أم يحبان طفلهما، وبالقطع هما يحبانى ولكن يبدو أننى سيئ . . لابد أن أمى أو أبى على حق فى إيذائى . . وهنا تصاب عواطف الطفل بالشلل التام وذلك من حالة الرعب والحيرة التى تسيطر عليه . . ولذا فهو يستسلم تمامًا ويبذل كل جهده ليحصل لى حب أمه وأبيه وأن يستحوذ على رضاهما وذلك ليمحو الخوف الذى بداخله . . ويؤكد لنفسه ويقتنع بأن أمه إنسانة طيبة وتحبه وكذلك أبوه، وبأنه هو -أى الطفل- سيئ وبأنه يستحق العقاب وأنهما إنما يعاقبانه بهذه القسوة من أجل مصلحته.

** الأم التى تعذب طفلها تحطم كيانه وتمحو شخصيته ويصبح ضعيفًا هشاً سلبياً اعتمادياً لا يقوى على الاعتماد على نفسه. بل يظل مرتبطًا بها ولا يستطيع الابتعاد عنها.

** هذه الأم ترى أن طفلها سيئ . . وفى اللاشعور يمثل الجزء السيئ فيها . . أن هذا الطفل دليل على سوئها هى.

** وإذا لم يجد الطفل من ينقذه . . من يساعده ويخفف من آلامه ويمنع قتل روحه فإنه لا يجد إلا أمه أمامه ليتوحد معها . . إنه يتوحد مع المعتدى ويحبه أكثر ويعجب به . . وكلما كبر الطفل كلما ازداد إعجابًا بأمه التى عذبته وقهرته ويصبح هو بعد ذلك مصدراً لآلام الآخرين وقهرهم.

إن هذا الطفل يتبلد وجدانياً بعد ذلك ويحمل كماً كبيراً من العداء تجاه الآخرين . . فهو لا يشعر بأحد ولا يتورع عن إيذاء مشاعر الآخرين وجرحهم . . وسينتقل عنفه بعد ذلك إلى

أطفاله . . ويبدو الأمر وكأنه وراثة . . ولكن في حقيقة الأمر فإن الطفولة التعسة لأى إنسان تؤثر على علاقته بأطفاله بعد ذلك .

** نفس الأمر يحدث إذا تعرضت الطفلة للاغتصاب أى الاعتداء الجنسى من أبيها أو من شقيقها ، أو إذا تعرضت لرؤية مشاهدة جنسية عنيفة .

كل هذه الأشياء لها نفس الأثر المدمر الذى يجعلها عدوانية وخاصة مع أطفالها .

إن الحياة الجنسية المضطربة للطفلة والتى اشتملت على القسوة أو القهر والاستسلام عن ضعف ونفور يولد عندها الخوف والحقد الذى قد ينقلب إلى عداء لأطفالها .

** والإحباطات التى تواجهها الزوجة وخاصة سوء معاملة الزوج وقهره لها وخاصة إذا كانت فى ظروف لا تسمح لها بالطلاق أو الاستقلال عنه .

هذا القهر المستمر والعجز الدائم يجعلها تبحث عن أشخاص ضعفاء لتكرر معهم حالة القهر التى تعيشها . . والأطفال هم أضعف الناس . . يليهم الخدم . . وقد تسيء معاملة موظفيها الذين يعملون تحت رئاستها فتتعمد إهانتهم وخاصة الرجال منهم وجرح مشاعرهم وتهديد مستقبلهم .

•••

الطب النفسى يتعامل مع هذه الأم على أنها مريضة . . وفى كل دول العالم فإن القانون يعاقب هذه السيدة وكذلك ينزع طفلها

منها، إلا إذا أثبت الطبيب النفسى أنها مريضة وفى هذه الحالة تعالج ولا يعود لها طفلها إلا إذا أقر الطبيب النفسى صلاحيتها لرعاية طفلها . . وكذلك الأب قد يواجه عقوبة السجن إذا ثبت أنه يعذب طفله . . إن القانون يحمى الأطفال من عملية قتل الروح التى قد يتعرضون لها من الآباء والأمهات .

** ولا يوجد أتعس من هذه الأم التى تمثل أقصى صور الشذوذ فى الطبيعة الإنسانية . . ولكن الطب النفسى لا يعترف بكلمتى الشذوذ والإجرام . . فالمريض هو إنسان ضعيف وهو غير مسئول عن مرضه .

وهناك أسباب أدت إلى هذا المرض : طفولة غير سعيدة، اعتداء جنسى مبكر، انهيار الثقة بالنفس، افتقاد الحب والاحترام والقبول من الناس، سوء معاملة الزوج . . أسباب كثيرة بعضها ظاهر وبعضها خفى . . بعضها يكتشفه الطبيب بسهولة والبعض الآخر كامن فى اللاشعور يحتاج إلى الغوص فى أعماق المريض .

** ولا أحد يكره نفسه مثلما تكره هذه الأم نفسها وإن بدت على السطح أنها نرجسية أنانية عاشقة لنفسها .

** يجب أن نساعد هذه الأم على أن تحب نفسها . . فإذا أحبت نفسها أحبت كل من حولها .

** يجب أن نساعد هذه الأم على أن تشعر وأن تنعم بحب الآخرين . . فإذا شعرت بحب الآخرين عادت إليها ثقتها بنفسها وهدأت روحها وأحبت كل الناس .

** يجب أن نوفر لهذه الأم الحياة المستقرة التى تشعر فيها بالأمان والحماية وتستمتع بحب أقرب الناس إليها وبذلك تشعر بكيانها الإنسانى الأنثوى .

** هذه هى الاحتياجات الطبيعية لأى امرأة ولأى أم . . إنها تعيش على الحب لتعطى الحب .

***

الاعتداء الجنسى على الأطفال

** لقد صدمتنا الأم التى تعاقب طفلها إلى حد قتل الروح . . ولكن الشىء الأفظع هو أن تتعرض الطفلة الصغيرة إلى العبث الجنسى من الأب أو الأخ . . وذلك نوع آخر من قتل الروح أى ننتزع من هذه الطفلة الصغيرة أى قدرة على الإحساس بالفرح ليس فقط الآن ولكن فى كل مراحل حياتها .

** الاعتداء الجنسى على الطفلة الصغيرة هو من أخطر الصدمات النفسية التى تتعرض لها والتى تؤثر على شخصيتها وأنوثتها وعلاقتها بالناس وبزوجها وأطفالها . . تظل هذه الآثار النفسية المدمرة معها طوال حياتها لا تستطيع الخلاص منها إلا بالعلاج النفسى المضنى .

** وقد لا تلجأ للطبيب النفسى طوال حياتها لأنها تكون قد نسيت حادثة الاعتداء التى تترك العقل الواعى وتهبط إلى اللاشعور . . وفى اللاشعور فإنها تظل حية مستعرة وتتسبب فى كثير من الاضطرابات والمعاناة التى تفسد عليها حياتها . . فتفقد القدرة على الحب وتفقد القدرة على الاستمتاع الجنسى . . وتضطرب علاقتها بزوجها . . وتسىء معاملة أطفالها . . وهى لا تدرى سببًا لكل ذلك .

** وقد تأتى الأسرة بهذه الفتاة إلى العيادة النفسية وهى فى

سن المراهقة أو فى بداية الشباب شاكية من انحرافها الجنسى وتعدد علاقاتها وكثرة هروبها من البيت وتعثرها الدراسى .

** وقد تأتى السيدة الوقور إلي العيادة النفسية شاكية من فتورها العاطفى والجنسى تجاه زوجها . . أو شاكية من قسوتها غير المعقولة وغير المقهورة تجاه أطفالها . . أو شاكية من عدم قدرتها على التعامل مع الناس . وكذلك مشاعر الاكتئاب التى تسيطر عليها معظم الوقت .

** حالات ليست قليلة نستطيع أن نتعرف عليها فى العيادة النفسية وذلك بعد عدة مقابلات وبعد أن تطمئن المريضة إلى طبيبها فإنها تعود إلى الوراء وتسترجع آلامها وتفصح عن اعتداء جنسى فظيع وقع عليها من أبيها وهى فى الخامسة من عمرها واستمر لعدة سنوات .

** والإحصائيات القادمة من الولايات المتحدة الأمريكية تقول إن حوالى من ١٠ إلى ٣٠٪ من النساء قد تعرضن إلى اعتداء جنسى فى طفولتهم وأنه فى ٥٠٪ من الحالات كان المعتدى هو أحد أفراد الأسرة . . الأب فى ٧٥٪ من الحالات ، والأخ أو الجد أو العم أو الخال فى ٢٥٪ .

** وآثار هذا الاعتداء تتوقف على عدة عوامل مثل السن الذى بدا فيها الاعتداء ، ومدة استمراره ودرجة قرابة المعتدى . وإذا كان أحد أفراد الأسرة قد اكتشف الأمر مثل الأم أو الأخت . . وكلما حدث الاعتداء فى السن الصغيرة . . كانت آثاره المدمرة أكثر . .

والاعتداء إذا وقع من شخص غريب يكون أقل أثرًا من اعتداء الأب أو الأخ .

** والسن التى يبدأ عادة فيها الاعتداء بين الثالثة والسادسة . . وفى البداية لا تفهم الطفلة ما يحدث ولكنها تعتقد أنه أمر خطير من نظرات الأب واختياره أوقات معينة وتهديده لها بألا تخبر أحدًا . . وقد تتصور الطفلة الصغيرة أن كل الآباء يفعلون ذلك مع بناتهم ولكن تكتشف عكس ذلك فتكره أباها كراهية عنيفة . . وقد تخبر أمها أو شقيقتها أو صديقتها وقد تنطوى على سرها مدى حياتها .

** وهذه الأسرة تتمتع بأسوأ علاقات بين أفرادها . . إنها علاقات محبطة لا تحقق الإرضاء والإشباع النفسى الاجتماعى لأى من أفرادها سواء الزوج أو الزوجة وبالتالى الأبناء . . وهذا يعوق النمو النفسى الصحيح لأطفال هذه الأسرة وخاصة الطفلة الصغيرة التى تتعرض للاعتداء الجنسى فتصاب باضطراب شديد فى شخصيتها وفى إحساسها بذاتها .

** عادة الأم تكون فاترة، عواطفها محدودة، لا يشعر بها أحد، لا تتجاوب إنسانيًا، باردة المشاعر . . وهى ذاتها فى أغلب الأحوال تعرضت فى طفولتها لمثل هذا الاعتداء . . والأب بالرغم من سيطرته وهيمنته فى البيت إلا أنه خارج البيت يكون فاقدًا الثقة بنفسه، يعمل كثيرًا ولكنه قليل الأصدقاء، وهو ذاته ربما قد تعرض للاعتداء الجنسى فى طفولته أو تعرض للقسوة الشديدة إلى حد الإيذاء البدنى من والديه . . وعلاقته بزوجته مضطربة، وكل منهما

لا يلبى الحد الأدنى من الاحتياج العاطفى والجنسى للطرف الآخر .

** ماذا يحدث لهذه الطفلة؟

قد يتولاها الرعب ولا تستطيع أن تتحرك أو تتكلم وكأنها مصابة بالشلل . . والأب أو الجد أو الخال أو العم قد يستعمل القسوة، أما الأخ فعادة ما يتحاور معها ويسامرها ويوهمها بأنهما يقومان بتمثيلية أو أنهما يلعبان فتأتى له وتصدقه وتسعد باهتمامه بها . . وعادة ما تستجيب الطفلة لتهديدات المعتدى بعدم الإفصاح لأى أحد بهذا الأمر .

** وتشعر الطفلة أو الفتاة الصغيرة بالذنب لموافقتها على استمرار العلاقة . . تشعر بالذنب لأنها أخذت مكان أمها . . وتشعر بالذنب لحصولها على اهتمام أبيها أكثر من اهتمامه بإخوتها وأخواتها . . وقد تشعر بالغيرة من شقيقتها الأصغر منها حين يذهب إليها أبوها .

** تفقد الطفلة الصغيرة قدرتها على الشعور بأى سعادة فى الحياة . . تنخفض روحها المعنوية وتفقد ثقتها بنفسها وتصبح أميل إلى الاكتئاب بصفة مستمرة .

** تتأثر مشاعرها وموقفها من الرجل بشكل عام فتصبح أى إيماءة أو إشارة أو قول يحمل معنى جنسياً . . والعلاقة مع زوجها تصبح مضطربة ويصبح اللمس بالنسبة لها بديلاً للتعبير عن الحب فهى لا تعرف الحب أو الاهتمام إلا من هذا الجانب .

** والطفلة الصغيرة قد تصاب باضطرابات كثيرة، لأحلام مزعجة والرعب أثناء النوم والتبول الليلى اللا إرادى، وأعراض بدنية كأن تشكو من آلام فى معدتها. . وكذلك اضطرابات سلوكية كالهرب من البيت والسرقة والكذب والتعثر الدراسى، وشتى الانحرافات الجنسية وذلك فى سن مبكرة. . كأن تصادق كثيراً من الشباب وتقيم معهم علاقات جنسية.

** وفى سن المراهقة تجد صعوبة فى تكوين صداقات مع الفتيات. . تشعر بأنها مختلفة عن بقية الفتيات. . كما تجد صعوبة فى أن ترتبط عاطفياً بشاب. . تشعر أن جسدها مدنس وقذر، وأن أحدًا لن يحبها. . تعانى من قدر كبير من فقدان الثقة بالنفس.

** هذه الفتاة قد تنحرف انحرافًا جنسياً خطيراً وتتعدد علاقاتها بالرجال، فهى فى حالة من الجوع الدائم للحب الذى لم تحصل عليه من أمها فى طفولتها. . ويتكرر هروبها من البيت. .

وفى دراسة حديثة من إنجلترا أثبتت أن كثيراً من البغايا (الساقطات) قد تعرضن للاعتداء الجنسى فى طفولتهن من أحد أفراد الأسرة، والبعض الآخر تعرضن للاغتصاب. . وكذلك نسبة ليست قليلة من المدمنات قد تعرضن إما للاعتداء الجنسى من أحد أفراد الأسرة أو الاغتصاب.

** إذن الصدمات الجنسية فى طفولة أى فتاة تؤثر عليها تأثيراً خطيراً وتؤدى إلى انحرافات جنسية وسلوكية وإدمان. . ومنهن من يحاولن الانتحار عدة مرات.

** وهى زوجة فاشلة . . وأم فاشلة أيضًا . .

** وبدلاً من أن تحصل على الجنس من خلال علاقة حب، فإنها تحاول أن تحصل على الحب من خلال العلاقات الجنسية. ولهذا تتعدد علاقاتها . .

وحين تتوقف علاقتها برجل وتشعر أنه يحبها فإنها تسارع وتقطع علاقتها به وهى بذلك لا شعورياً تعاقب والدها . . وهى لا تستمتع جنسيّاً وإنما تتقلص عضلات الحوض والساقين عندما يلمسها الرجل ولا تصل إلى الذروة . . إطفاء جنسى كامل على مستوى الشعور واللاشعور بالرغم من حرصها على العلاقة الجنسية مع الرجل الذى تعرفه، بل تسعى إليها بشكل مبالغ فيه . . إن هذه الفتاة لا تستطيع أن تمتنع عن الجنس فالجسد يصبح هو الوسيلة للتعبير عن الحب . . إنها تحتاج للجنس بشدة ولكن ليس بهدف المتعة الجنسية ولكن لتروى أحاسيسها المتوهجة المتعطشة للحب الذى فقدته تمامًا فى طفولتها من أمها المتبلدة الباردة الأنانية ومن أبيها المتوحش.

** وتفقد ثقتها بالرجل، فتنظر إلى كل رجل على أنه موضوع جنسى . . لا يهتم بها كإنسانة وإنما لا يريد منها إلا الجنس . . وقد تختار زوجًا ضعيفًا جنسيّاً ولكن ما يهمها أن يكون متفهمًا . . وقد تختار زوجًا قاسيًا وعنيفًا وتستمر معه بالرغم من إهاناته وضربه لها وتحقير شأنها . . وهى تشعر أنها تستحق ذلك.

** وفى كل مرة تمارس فيها الجنس تعاودها ذكرى اعتداءات أبيها ولذا تهرب منها أحاسيسها الجنسية وتتقلص عضلاتها . . ونفس هذه العضلات تتقلص عندما يفحصها طبيب أمراض النساء .

** وهى أم فاشلة . . والبداية حين لا تستطيع لمس طفلها ولا تستطيع الاعتناء به . . وتضرب أطفالها بقسوة وتؤذى مشاعرهم بالإهانات وتعذبهم بأفظع الشتائم ومعظمها شتائم تحمل معانى جنسية . . وأيضًا تتحدث فى المواضيع الجنسية أمام أطفالها بدون حرج ومع صديقاتها . . وتتبسط فى أحاديثها مع الرجال وتتناول مواضيع جنسية بالرغم من حداثة معرفتها بهم .

** وتجد صعوبات فى صداقاتها بالنساء ولذا فمعظم أصدقائها من الرجال وتستريح أكثر فى تعاملها مع الرجال .

** وتقطع كل صلاتها بأسرتها بعد انفصالها عنه .

** وقد تستمر القطيعة سنوات بدون سبب واضح . . ولأن كل إنسان يحب أن يكون فخورًا بوالديه فإنها تلقى باللوم على نفسها وتشعر بأن السوء كله يتركز فى أنوثتها أو أن أنوثتها هى مصدر السوء والفساد : رحمها ومهبلها وهذا بالقطع . . يؤثر على أحاسيسها الجنسية وعلى أمومتها .

باختصار الآثار هى : الإحساس بالذنب والغضب والتشويه والعجز والخوف وعدم الثقة بالرجال أو بالنساء وصعوبة إقامة علاقات مع الناس والفشل كزوجة وكأم والبرود الجنسى .

والعلاج النفسى يبدد الكثير من هذه الآثار . . يساعد على التئام بعض الجراح القديمة .

** وإذا كانت محظوظة فإن علاجها قد يتم خارج العيادة النفسية من خلال حب صادق وحقيقى من رجل يعيد لها الثقة بالناس وخاصة الرجال . . ومن خلاله تعرف طريقها إلى الجنس الصحيح من خلال الحب وليس العكس . . رجل يحبها لذاتها ويدهشها بمثاليته ويحرك داخلها إمكانياتها الأخلاقية الإنسانية فتحبه كموضوع إنسانى لا كموضوع جنسى .

ومن خلال علاقة الحب هذه تتخلص تدريجيّاً وبدون أن تدرى من آثار التشويه التى أصابت مشاعرها . وتتخلص من المفاهيم الخاطئة التى لوثت أفكارها ، وتبدأ فى حب نفسها من خلال حبها للطهارة . . والحب الحقيقى يطور الشخصية فينقلها من الشر إلى الخير ، ومن الدنس إلى الطهارة ومن الخوف إلى الشجاعة ، ومن العزلة إلى الانطلاق ، ومن الشك إلى الثقة ، ومن الاكتئاب إلى البهجة .

** هذه الإنسانة التى تعرضت فى طفولتها إلى الاعتداء الجنسى ، وأثر فيها إلى حد المرض حين كبرت . . تحتاج إما إلى الطبيب النفسى أو رجل تحبه ويحبها .

***

امرأة ليست شاذة

** ليت هناك ميكرسكوبًا نستطيع أن نرى به دقائق النفس البشرية . . فكم هو حساس ودقيق ورقيق نسيج النفس، وكم هى عيوننا عاجزة وحائرة لا تستطيع أن تصل إلى ما هو أبعد من السطح، وكم هى عقولنا قاصرة عن الوصول إلى الأعماق لتفهم أسرارًا بالغة التعقيد وتناقضات تحير وصراعات شائكة .

** ليتنا نفهم سر القلوب أو سر العواطف وهى تتجه بتلقائية وعفوية وبدون تخطيط وبلا أسباب نحو شخص معين فيصبح هو الشخص الأول والأهم والأقرب والأحب ممن بعده وبدونه تخلو الدنيا من كل معنى .

** ليتنا نتعرف بدقة على الحدود الفاصلة بين ما هو طبيعى وغير طبيعى . . وليتنا قبل ذلك نعرف بالتحديد ما هو الطبيعى ولماذا اعتبرناه طبيعياً . .

هل الطبيعى هو الشائع وغير الطبيعى هو النادر . . ؟ وهل يجوز استخدام لغة الحساب والإحصاء فى فهم المشاعر والعواطف والأفكار وتفسير السلوك؟ . . وإذا تشابه الناس فى عدد الكرات الحمراء التى تسبح فى دمائهم فإلى أى مدى يتشابهون فى حركة الوجدان ونزوع الفكر وإدراك المعنى . . ؟

وحتى الأجهزة البيولوچية إذا تشابهت تشريحياً وفسيولوجياً فهل تتشابه الدوافع التى تحركها الرغبات التى تسيرها والمعوقات التى تعطلها؟

** لماذا تميل المرأة إلى الرجل؟ . . لماذا تميل المرأة إلى رجل معين دون بقية الرجال؟ . . وهل لأن معظم النساء يملن إلى الرجال، يكون ميل المرأة إلى المرأة غير طبيعى؟ . . وهل ما يحرك مشاعر المرأة تجاه الرجل هو فى الأساس جنسى أم عاطفى . . أم هو جنسى أو عاطفى أو عاطفى جنسى؟ . . وهل هناك ميل جنسى خالص . . وميل عاطفى خالص؟ . .

وحين تميل امرأة لامرأة هل هو ميل جنسى أم ميل عاطفى أم ميل جنسى عاطفى أو عاطفى جنسى؟ . . هل هناك ميل جنسى خالص بين امرأة وامرأة؟ وهل هناك ميل عاطفى خالص بين امرأة وامرأة؟

** حتى هذه اللحظة نحن لا نملك الميكرسكوب الذى يستطيع أن يرى دقائق هذه المشاعر وتلك الأحاسيس ليفهمها ويفسرها ليدرك العقل معناها وليعرف أسرار المعاناة التى قد تنشأ عنها . . معاناة تسبب ألمًا يتعامل معه الطبيب النفسى فى بعض الأحيان .

والمرأة قد تكتشف أنها لا تستطيع أن تميل إلى رجل مثل معظم النساء . . وفى مرحلة أخرى وربما بالصدفة تكتشف أنها تميل إلى امرأة معينة . . ارتباط غريب يختلف عن ارتباطها بزميلاتها وصديقاتها . . ارتباط خاص جداً بمعنى أن تصبح هذه المرأة التى مالت إليها هى الأولى فى حياتها والأهم والأقرب والأحب ومن بعدها وبدونها تخلو الدنيا من كل معنى .

** وتتردد فى الإفصاح عن مشاعرها . . ينتابها الخوف ويساورها القلق، ولكن طغيان الإحساس يجعلها تشتاق وتقبل

وتهتم وتضحى. . المهم أن تحظى بالرؤية والاقتراب. . السعادة الحقيقية أن تكون قريبة منها وأن يكون بينهما صفاء ورضاء.

وتعذبها أسئلة كثيرة:

- ماذا ستظن بى تلك الإنسانة التى تشغل فكرى وتملأ وجدانى؟

- ماذا سيظن الناس بى إذا عرفوا أننى استبعدت كل الرجال وانصب اهتمامى فقط على تلك المرأة؟

- هل ستتجاوب تلك الإنسانة معى وأصبح أنا بالنسبة لها الأولى والأهم والأقرب والأخت؟

- ماذا أنا فاعلة إذا رفضت أن أكون لديها بهذه الخصوصية. . ماذا إذا ابتعدت عنى وفضلت إنسانة أخرى أو إنسانًا آخر؟. . أى مصيبة وأى حزن؟

- ماذا سأفعل بمستقبلى. . هل أصلح للزواج من رجل؟. . هل أصلح أن أكون أمًّا؟

- ما هى حقيقة مشاعرى؟. . أى نوع من الميل؟ أهو حب مثل حب المرأة للرجل؟. . هل أرغب فيها مثلما ترغب المرأة فى الرجل؟.

** أسئلة حائرة تشقى بها. . وتؤجل كثيرًا أو تتجاهل السؤال الصريح المباشر:

هل أنا شاذة؟

** وتعود فتتأمل حقيقة مشاعرها. . وقد تكتشف أنه حب خالص تمامًا من أى رغبة جنسية.

حقيقة إنها تسع بضمها وتقبيلها ولكن بدافع شوقها وشدة وجدها وفرط عشقها وبدون أن يتحرك لديها أى إحساس جنسى، بل هى تشمئز لأى خاطر جنسى يصورهما معًا.

** ولكن امرأة أخرى تعيش نفس القصة قد تكتشف منذ البداية أن هذا الميل ينطوى على رغبة جنسية لا تنفصل عن رغبتها العاطفية.. إنها تحبها.. ومن حبها تحب أن تمارس معها العلاقة تجسد الحب وتحقق اكتماله باستخدام لغة الجسد.

وهذه المرأة تكون فى مشكلة أكبر وتواجهها صعوبات أعقد.. إذ كيف سيتحقق لها ذلك؟.. إلى أى مدى سيتجاوب الطرف الآخر عاطفياً ثم جنسياً؟.. إن هذه المرأة لا تتصور أن يكون بينهما حب فقط.. بل الحب عندها أن يكون بينهما جنس أيضًا.. إن بها رغبة جنسية فعلية تجاه من تحب ولا تستطيع أن تقهرها وبعد ذلك لن تستطيع أن تخفيها.. ثم عليها أن تحذر وأن تجتهد فى إخفاء تلك الميول لأن الجميع يدينون ذلك بالشذوذ القاطع.

** وامرأة ثالثة تعيش نفس القصة قد تكتشف منذ البداية أن ميلها لامرأة أخرى إنما هوميل جنسى محض.. إنها تتمناها كموضوع جنسى.. وهى من البداية، منذ صغرها، منذ مراهقتها.. منذ أن نضجت وهى تأنف وتشمئز من الرجال.. ثم بغتة وعلى حين فجأة ظهر ميلها الجنسى الواضح تجاه النساء، ثم حطت على هذه المرأة التى فجرت فيها كل الرغبات الجسدية الخالصة.

** إذن نحن أمام ثلاثة أنواع من النساء:

- هناك من تحب حباً عاطفياً خالصًا.

- وهناك من تحب الحب بشقيه : العاطفى ، والجسدى .

- وهناك من تحب حبّاً جسدياً خالصًا .

** ونحاول أن نقترب أكثر لعلنا بعيوننا المجردة المدعمة بعقل حائر ووجدان صادق أن نفهم وأن نشعر وأن نسمع أفكار ومشاعر وأنات تلك النفوس الحائرة :

* المرأة الأولى هى امرأة عاشقة مثل أى امرأة تعشق رجلاً . . حب خالص إلى أقصى مدى ويحقق إشباعًا كاملاً فكرياً ووجدانياً أى نفسياً وتستغنى به عن عواطف أى إنسان آخر ولا تشعر هى بميل ناحية أى إنسان آخر امرأة أو رجلاً .

وهذا الحب يشغل تفكيرها كل الوقت وقد يصرفها عن اهتمامات أخرى كثيرة فى حياتها . وقد يستحوذ على جزء كبير من وقته تقضيه مع من تحب وترعى شئونها وتقضى مصالحها وتهتم بكل أمر يتعلق بها . . ولابد أن تعرف أين هى فى أى وقت وماذا فعلت بيومها ومن قابلت ومع من تحدثت . .

وإذا كان الطرف الآخر متجاوبًا بنفس القدر فإنهما يقضيان وقتًا طويلاً معًا معظم النهار أو معظم الليل ومعظم أيام الأسبوع . . وإذا لم يكن باللقاء المباشر فإنه يكون عبر التليفون ولا يملان الحديث ساعات طويلة ، وتعرف كل واحدة عن الأخرى أدق وتفاصيل حياتها وما يجول بخاطرها . .

والغريب فى الأمر أن إحداهما قد تأخذ الدور التقليدى للرجل أى الراعى المهتم الذى يأخذ المبادأة ويتحمل مسئولية العلاقة بكل جوانبها ، وتأخذ الأخرى الدور التقليدى للمرأة الخاضعة الرقيقة

المتلقية المستجيبة المستقبلة . . وباستثناء العلاقة الجنسية فإنهما إذا عاشا فى مكان واحد فإنهما يصبحان كزوجين ويتفاعلان كزوجين .

** وهذه العلاقة تحقق إشباعًا لا حد له لكل منهما . . تشعر كل واحدة مع الأخرى بالأمان وصفاء الخاطر والائتناس والامتلاء والاكتمال وتغمرهما سعادة حقيقية وفرحة غامرة مستديمة . . ولا يعكر صفوهما إلا وجود طرف ثالث يحاول أن يقتطع من وقتهما معًا أو محاولاً الاستئثار بأحداهما أو معلقًا وناقدًا . . وتتعس كل واحدة منهما بأى خلاف أو شقاق بينهما . يتخاصمان ويتصالحان ويختلفان ويتفقان . . ويكون الجرح مؤثرًا وموجعًا وعميقًا إذا آذت إحداهما الأخرى بقصد أو بدون قصد، أو إذا حاولت أن تبتعد عنها ظاهرياً عامدة أو لانشغال حقيقى . . إن كل واحدة تريد أن تكون عند الأخرى هى الأولى والأخيرة والمفضلة وأن تترك كل الدنيا من أجلها .

** والخيانة الحقيقية فى أن تتزوج إحداهما . . وفى مثل هذه العلاقات قد تتزوج المرأة لدرء الشبهة عنها أو تحت ضغوط اجتماعية أو حيث لا مفر على الإطلاق من الزواج فى بعض العائلات ذات المكانة الخاصة . .

وقد تبدأ قصة الحب والسيدتان متزوجتان فعلاً أو أن تكون إحداهما فقط متزوجة .

وعلينا أن نفرق بين عدة أنواع داخل هذه العلاقة . . فهناك المرأة التى تحب امرأة حباً حقيقياً خالصًا ولكنها فى نفس الوقت تستطيع الزواج وتستطيع أن تعاشر زوجها جنسياً . .

وهناك المرأة التى تتـزوج لمجـرد الزواج لكنهـا لا تحـمل أى عواطف لزوجها ولا تستجيب له جنسياً وإنما عواطفها متجهة كلية إلى المرأة التى تحبها . .

إذن هناك حب ينشأ بين امرأتين متزوجتين، وحب ينشأ بين امرأة متزوجة وأخرى غير متزوجة، وحب ينشأ بين امرأتين غير متزوجتين وقد تتزوج إحداهما أو كلاهما بعد ذلك وقد لا يتزوجان على الإطلاق، حيث لا يستطيعان ذلك فهذه هى ميولهما الصرفة الخالصة والتى جسدت فى علاقة الحب التى تحقق لهما الإرضاء الكامل .

** ومن الشائع أن نرى الفتاة الصغيرة تحب حباً جماً فتاة أخرى فى مثل سنها أو أكبر منها فى المدرسة أو تحب معلمتها أو تحب سيدة معروفة . . وهذا شيء طبيعى تمر به بعض الفتيات فى مرحلة المراهقة بقليل وذلك يحدث فى الوقت الذى تضعف فيه نسبياً علاقتها بأمها ويتيح لها ذلك التوحد مع شخصيات نسائية أخرى . .

وفى سن المراهقة ومع بداية مشاعرها الجنسية فإن خيالاتها الجنسية قد تكون مع امرأة . . وقد تعجب بجسد فتاة أخرى . . ومن باب الاستطلاع قد تحدث مداعبات جنسية بينها وبين فتاة أخرى وذلك نوع من الاستكشـاف الجنسـى . . ويحـدث لمرات قليلة ولا يكون له أى تأثير على المستقبل الجنسى والعاطفى للفتاة . . أى لا يكون له تأثير على تحديد مسار ميولها بعد ذلك .

** والحقيقة أن الإنسان ثنائى الجنسية وينجذب لكلا الجنسين فى بداية تفتح مشاعره الجنسية، وليس بالضرورى أن يكون الميل جنسياً

كاملاً . . بمعنى أن تستبد به الرغبة للممارسة الجنسية، ولكنه قد يكون ميلاً وجدانياً يجعله، يشعر بحب فعلى تجاه واحد من أفراد جنسه، وهذا لا يمنع من أن يرتبط عاطفياً مع فرد من الجنس الآخر . .

إن وجود ميل عاطفى تجاه نفس الجنس لا يستبعد تمامًا الميل إلى الجنس الآخر . . وفى الأحوال الشائعة أو الطبيعية إذا جاز التعبير . . فإن الإنسان بعد أن يمر بهذه المرحلة التى قد ينجذب فيها إلى كلا الجنسين فإن مشاعره تتحدد بشكل قاطع ويميل ناحية الجنس الآخر وتتحدد علاقته بنفس جنسه فى إطار الصداقة ولا تتعداها .

* المرأة الثانية حبها مختلف عن المرأة الأولى . . حبها يشتمل على الميل العاطفى والجنسى تجاه امرأة أخرى . . وهى لا ترضى بالعاطفة فقط . . أنها تشعر أن هناك شيئًا ناقصًا . . ولا يتحقق الاكتمال إلا بالعلاقة الجنسية . . والعاطفة لا تغنى عن الجنس، والجنس لا يغنى عن العاطفة . . أى أن ميلها ليس جنسياً خالصًا . . وهى لا ترتبط بامرأة أخرى لدوافع أو رغبات جنسية خالصة، كما أنها لا تستطيع أن تمارس الجنس مع امرأة فى إطار العاطفة . .

وفى الحقيقة أن العاطفة تكون هى المدخل . . هى الشرارة الأولى . . هى الرباط الأول الذى يدعمه الجنس بعد ذلك . . ولهذا فهذه العلاقات يتحقق لها الإخلاص والوفاء حيث لا تعددية أو هى لا تقوى على أن تعيش علاقتين فى وقت واحد . .

وهى نوعان من العلاقات لها صفة الاستمرارية أى تستمر وقتًا طويلاً بدون ملل وبدون رغبة فى التغيير . . فالسند لها ودعامة الاستمرار العاطفة .

وهى علاقة تتمتع بكل السمات العاطفية تحظى بها النوعية الأولى من العلاقات . . وهى علاقات الحب الخالص بدون جنس، حيث الاهتمام الزائد والتضحية والعطاء بدون مقابل والسعادة الكاملة والفرحة الغامرة باللقاء، والاستحواذ الكامل على الوقت والتفكير .

إنها مرارة العتاب ونار الغيرة وآلام الابتعاد ولوعة الاشتياق وقسوة الخصام . . وإحداهما تلعب الدور التقليدى للرجل عاطفياً وجنسياً والأخرى تلعب الدور التقليدى للمرأة عاطفياً وجنسياً . .

وهذا أمر غريب وطريف . . فحتى فى العلاقات بين المرأة والمرأة لابد أن يسود طرف وأن يخضع طرف آخر .

لا بد أن يعطى طرف وأن يتلقى طرف آخر . . لابد أن يرسل طرف وأن يستقبل طرف آخر . . لا بد أن يسعد طرف بسيطرته وأن يسعد طرف آخر باستسلامه . . لا بد أن يزهو طرف بقوته وأن يهنأ طرف آخر بضعفه . . لا بد أن تتسم شخصية طرف ببعض السادية وأن تتسم شخصية الطرف الآخر بالمازحين . .

ويبدو أن هذا هو النسق الطبيعى والشك النموذجى لأى علاقة عاطفية أو عاطفية جنسية أو جنسية . . هذا هو النسق الطبيعى حتى فى داخل العلاقات غير الطبيعية .

** هذه المرأة قد تتزوج ولكنها لن تستجيب جنسيّاً مع الرجل . . فى أحوال نادرة جداً تستطيع مثل هذه المرأة أن تستجيب جنسيّاً مع الرجال لأن أخطر ما فى هذه العلاقة هو البعد العاطفى . . فالعاطفة تجعل ميلها الجنسى ناحية المرأة أقوى ولا تترك لها أى فرصة للاستجابة مع الرجل . .

إنها عاطفة يدعمها الجنس أو يشكل الجنس أحد أركانها المهمة ولكنه بالقطع ليس كل شيء. . وهى تجاهد أن تكون طبيعية مع زوجها حتى لا يكتشف أمرها. . فهى لا تمانع فى العلاقة الجنسية مع الرجل لتتخذه ستاراً يغطى ميلها الجنسى القوى ناحية النساء. . علاقته الجنسية مع الرجل تدخلها فى نطاق النساء الطبيعيات. . وقد تنجب أطفالاً كثيرين وهذا تأكيد اجتماعى لسويتها.

** وقد تكتشف المرأة مشاعرها الحقيقية بعد الزواج مباشرة أو بعد عدة سنوات. . من البداية لا تشعر بالميل العاطفى تجاه الرجال. . وحين تتزوج لا تحظى بأى إرضاء عاطفى أو جنسى مع زوجها. . وحين تعود بمشاعرها إلى الوراء تكتشف أنها كانت تميل إلى النساء بشكل عام وتدريجياً وخاصة بعد الزواج تحس أن الميل يتبلور إلى مشاعر مركزة فى اتجاه امرأة معينة ثم تندهش حين تشعر بالميل الجنسى ناحية هذه المرأة بالذات. . إذن اكتشاف ميلها الجنسى لا يكون إلا نحو امرأة معينة وليس بشكل عام كما فى النوع الثالث.

* المرأة الثالثة تحب حباً جنسياً خالصاً. . تلتقى برفيقتها من أجل هدف واحد وهو المتعة الجسدية. . ولا مانع من تغليف هذه العلاقة بالمشاعر وهو أمر لا بد منه فى لقاء أى اثنين على أى هدف.

ولكن نقطة الانطلاق حين تتحرك إحداهما ناحية الأخرى أو الشرارة الأولى التى تنبعث حين تلتقى العيون هى الرغبة. الرغبة الجنسية المحضة فهى امرأة تعرف ما تريد، وقد اكتشفت حقيقة نفسها وحقيقة رغباتها وميولها.

وهذا الاكتشاف جاء مع سن المراهقة أو بعدها بقليل أو بعد زواجها . . اكتشفت أنها تنظر إلى أى امرأة من زاوية معينة . . تقيم أى امرأة بطريقة معينة . . اكتشفت أن نوعين معينين من النساء يحركان أحاسيسها الجنسية . . وأن الرغبة تستبد بها أحيانًا ناحية امرأة معينة فتحاول أن تقترب منها وتستميلها وتغازلها بلغة خاصة تفهمها النساء .

والأهم فى هذا المجال هو لغة العيون . . فالعيون قادرة على أن تبعث بالرسالة كاملة ، أن تفصح عن الرغبة ، أن توجه النداء . . معظم النساء من هذا النوع يتحاورون بالعيون .

** واللقاء الأول فى حياتها قد يأتى مصادفة . . أو قد تتعرض وهى طفلة لاعتداء من طفلة أكبر منها أو قد تتعرض وهى مراهقة إلى اعتداء أو إغواء من امرأة أكبر منها . . أو قد يكون اللقاء الأول سهلاً إذا كان الأمر شائعًا فى المجتمع أو بين النساء من طبقة معينة ، أو كرغبة فى الاستكشاف أو حب الاستطلاع . . أو قد يأتى اللقاء الأول تعبيراً عن رغبة متبادلة بين اثنتين التقتا وتحاورتا بلغة العيون وشعرت كل واحدة منهما بالرغبة تجاه الأخرى .

** وقد يكون اللقاء الأول بسيطًا فى صور تلامس بالأجساد وقبلات يشوبها الحرج والخجل فى البداية . . وبعد ذلك تتعدد اللقاءات حتى تكتمل العلاقة .

وفى البداية تكون العلاقة مع امرأة واحدة ، وتستمر هكذا مدة ليست قصيرة ، ولكن تتعدد العلاقات بعد ذلك ، لأن هذه النوعية من العلاقات التى لا يحكمها إلا الرغبة الجنسية يكون الإخلاص فيها محدوداً .

علاقات الحب تستمر مدة أطول، وقد تستمر مدى الحياة، ولا يكون لدى أي منهما رغبة فى التغيير، وتتدعم العلاقة بمرور الوقت، أى أن الوقت يكون فى صالح العلاقة.

وليس بالضرورة أن يكون هناك لقاء جنسى فى كل مرة تلتقيان.. ولكن فى العلاقات الجنسية المحضة الخالصة لا يكون اللقاء إلا من أجل ممارسة الجنس ولا تتشعب علاقتهما إلى مجالات أخرى، أى لا يكون بينهما أى أشياء مشتركة.. إذ إن كل واحدة لا تمثل بالنسبة للأخرى إلا موضوعًا جنسيّاً.. ولهذا يحدث الملل بعد فترة، وتثور رغبة فى التجديد.

وهذا النوع من النساء غير قادرات على الحب، وغير قادرات على الارتباطات طويلة المدى ولا يوجد لديهن ولاء لأى إنسان.. الولاء يكون للحظة الحالية.. الولاء للإنسانية التى بين يديها الآن.. وبعد أن تعبر اللحظة وتمضى الإنسانية يتبخر كل شىء.. لا يبقى فى داخلها شىء.

لا بد أن يكون هناك إنسانة لكل مرحلة.. وفى بعض الأحيان تكون هناك علاقة دائمة ولكن فى نفس الوقت تكون هناك علاقات عابرة متجددة، تمامًا مثل علاقات الزواج التى يصاحبها علاقات خارجية متعددة.

** والمرأة من هذا النوع تدور حياتها حول هذا الموضوع.. يصبح من ضروريات حياتها، أي أن علاقتها بامرأة تصبح هى الأساس الذى يشكل وينظم ويرتب يومها وغدها.

** وفى هذه العلاقة تكون إحداهما مسيطرة والأخرى مستسلمة . . إحداهما هى التى تبادئ وتدعو والأخرى تجيب وتستجيب .

** وصاحبة اليد العليا تحرك الأمور كما تشتهى فتُبعد وتُقرّب، تمنح وتمنع، تعطى وتحرم . . ولذلك فهى علاقة تنطوى على كثير من الآلام .

** والتى تبدى رغبتها بشدة تعطى الفرصة للمرغوب فيها أن تتمتع وتناور وتفرض شروطها ويكون هناك تلذذ بأن تعذب إحداهما الأخرى . . واحدة تسعد بإذلال الأخرى . . والأخرى تسعد بالمذلة .

** وهى علاقة تنطوى أيضًا على كثير من القسوة، فهذه النوعية من النساء يكن باردات عاطفياً ويتسمن بقسوة، كما لا يحملن أى مشاعر تجاه أى أحد ولا يضعفن ولا يلن فى أى موقف . . الوقت الوحيد الذى تضعف وتلين فيه هو حين تبحث عن صيدها أو وهى تحاول الإيقاع بها وجرها إلى شباكها أو فى بداية العلاقة .

فى هذه الأوقات تبدو رائعة دافئة تفيض بالمشاعر العذبة الرقيقة وتعطى بسخاء وتنسى نفسها تمامًا، حتى تحصل على مرادها، وبعد فترة يدخلها الملل فتتبدل إلى إنسانة أخرى قاسية عنيفة شرسة متحجرة كشرة الوجه بذيئة الألفاظ متقلبة المزاج فيدخل الروع والخوف قلب شريكتها، وهذا ينذر بنهاية العلاقة أو على الأقل بنهاية مرحلة الإخلاص والتفرغ الكامل .

** وبالرغم من أنها قد تبذل تضحيات مادية وتنفق بسخاء من أجل إرضاء شريكتها والتأثير عليها إلا أنها تكون فى غاية البخل مع فقير أو محروم أو محتاج . . فهذه المرأة متحجرة المشاعر واهتماماتها وتركيزها ورغباتها تتجمع فى اتجاه واحد من أجل شىء واحد: تحقيق رغباتها مع امرأة تختارها وهى تفعل أى شىء من أجل الحصول عليها.

** والدراسات النفسية التى أجريت على هذه النوعية من النساء أبرزت بعض سماتهن كالحب الشديد للمال والسلطة والتمتع بالدهاء وحب المناورة والمغامرة والتمتع بإيذاء الآخرين وإذلالهم، والتلذذ بمتابعة الآخرين وهم يتألمون.

إنها سمات مشتركة بين الشخصبة السادية والشخصية السيكوباتية . . وبعض الدراسات أثبتت أنهن يتمتعن بدرجة عالية من الذكاء ولكنهن لا يستفدن بهذا الذكاء فى المجالات الثقافية أو الأكاديمية.

** وهى لا تمانع فى الزواج من رجل . . وقد تسعى هى للزواج . . وتوهم زوجها أنها تستجيب معه جنسيّاً . . وتنجب أولاداً وبنات . . وقد يكون لها عشاق من الرجال.

وهذه العلاقات مع الرجال لا تكون لدوافع جنسية ولكن لترضى ذاتها كامرأة بين النساء . . فعلاقاتها بالنساء تجعلها تحظى بتقييم محدود بين الرجال والنساء . . لا يقبل عليها الرجال وتهرب منها النساء السويات . . كما أن هذا الأمر من الصعب أن يبقى سرّاً، ولهذا فإن أمرها يكون معروفًا فى الدائرة التى تعيش فيها.

إن ارتباطها برجل يرضيها نفسياً، يجعلها تشعر أنها ليست أقل من النساء الأخريات، وأن رجلاً يمكن أن يعجب بها ويقبل عليها ويستمتع بها جنسياً، وهى توهمه أنها تستجيب معه . . ويهمها أن تشيع أنها على علاقة مع رجل، وتحرص على أن تخفى علاقتها بالمرأة . . وهذا معناه أنها فى داخلها تشعر أن علاقتها مع امرأة أمر غير طبيعى وأن رغباتها الحقيقية غير سوية ولكنها لا تستطيع مقاومتها.

إنها من الناحية الاجتماعية الشكلية تحاول أن تعدل من صورتها أمام الناس وأمام نفسها فتقيم علاقة مع رجل.

والطريف هنا أنها تعرف أكثر من رجل فى وقت واحد أو على التوالى . . فهى لا تخلص لرجل واحد وذلك لأن علاقتها بأى رجل هى علاقة واهية ضعيفة شكلية لا يداخلها أى مشاعر وقصد بها الوجاهة الاجتماعية والإرضاء الزائف للنفس.

وقد تبالغ فى شد انتباه الرجال إليها، وهى هنا تشبه المرأة ذات الشخصية الهستيرية والتى تعانى من الإحساس اللاشعورى بالنقص الأنثوى فتبالغ فى مظهرها وزينتها من أجل شد أنظار الرجال إليها وإثارتهم جنسياً، وتستخدم صوت وتعبيرات وجهها وضحكاتها ليقع الرجال فى حبائلها ويسعون إليها تحركهم رغباتهم الجنسية . . وتسعد هى لأن ذلك يحقق لها إرضاء وثقة بالنفس وأنها مكتملة الأنوثة بالرغم من أنها تحظى بالبرود الجنسى الكامل والذى يجعل الرجال يهربون منها إذا اكتشفوا حقيقة أمرها، ولذلك هى تقف عند حد غوايتهم ولا تتورط أكثر من ذلك إلا فى أحوال قليلة، وحين

ذلك تحاول أن توهم الرجال بمقدرة عالية جداً على التمثيل -إنها تستجيب جنسياً بطريقة أفضل من أى امرأة على الأرض.

هكذا تفضل أحيانًا المرأة التى لا تميل جنسياً إلا للنساء.. تحاول أن تخضع الرجال لسيطرتها الجنسية تعويضًا عن النقص الأنثوى الذى تعانيه، فهى تدرك على المستوى الشعورى واللاشعورى أنها لا تصلح إلا للنساء، وأن الرجال إذا عرفوا حقيقة أمرها سينفرون منها.

** وبالرغم من أن أى امرأة ترتعب من تقدم العمر وتغير الشكل.. إلا أن هذه المرأة ترتعب أكثر.. رعبها يكون أكبر وأعظم.. إذ تشعر أنها ستفقد قدرتها على أن تكون موضوعًا جنسياً مقبولاً لأى امرأة أخرى.. ستفقد سلاحها الأساسى وهو جمالها وتناسق جسمها ونضرته وذلك لأن علاقتها بأى امرأة لا تقوم إلا على شيء واحد وهو الجنس.. وهذا بخلاف علاقات الحب التى لا تتأثر بتقدم السن أو تغير الشكل.

** ولهذا تلجأ إلى كل ما يجعلها تبدو صغيرة وجميلة وجذابة، وجراحات التجميل تقدم العديد من الحلول لمشاكل تقدم العمر وترهل الجسم والجلد لإعادة بعض الثقة بالنفس واستمرار القدرة على التأثير ولك فى اتجاه واحد فقط وهو التأثير الجنسى وليس التأثير العاطفى.

ولكن عند مرحلة معينة تعجز جراحات التجميل عن تقديم المساعدة الكافية والمطلوبة؛ ولذا تلجأ المرأة إلى وسائل أخرى للتأثير على امرأة أخرى أو رجل وهو السخاء المادى.. أى شراء

لحظات الجنس والاهتمام . . وعند هذه المرحلة تبدأ آلام من نوع جديد وهى آلام السعادة الزائغة المشتراة والتى تحطم معنويات المرأة وتزج بها فى بئر الاكتئاب السحيق .

** إن كلمة شذوذ هى كلمة ظالمة . . فهل يختار الإنسان طريقه ! ! أم هى الوراثة والتكوين أى الجينات والكروموزومات ! ! أم هى النشأة والتربية والبيئة والمجتمع والثقافة ! ! أم هو خلل معين يصيب الإنسان فى مراحل نموه المختلفة يؤثر على مراكز المخ ويغير الميول والنوازع والاتجاهات ويتحكم فى الرغبات ! !

** الميول الجنسية غير خاضعة لإرادة الإنسان . . وفى أجزاء كثيرة من العالم فإن ميل امرأة إلى امرأة لا يعتبرونه انحرافًا ولا حتى مرضًا بل هو نوع من التفضيل الجنسى .

** وفى وقت من الأوقات تعرض هؤلاء النساء للإدانة والعدوانية والتحيز ضدهن . . وفى بعض المجتمعات ما زلن يواجهن صعوبات اجتماعية تتسبب فى كثير من الآلام .

** وفى التقسيمات للطب النفسى تم حذف الميول الجنسية المثلية من قائمة الأمراض . . أى أن الطب النفس لم يعد مهتماً بهذا الموضوع ، وكذلك فعلت فروع الطب الأخرى .

** وهناك من يرون أن الميل الجنسى للإنسان لا يمكن أن يكون واحداً وثابتًا ومستقراً عند بلايين البشر بل يحتوى على درجات كثيرة يمكن وضعها على متصل ذات قطبين . . أحد القطبين يمثل العلاقة بين الرجل والمرأة ، وعلى القطب الآخر العلاقة الجنسية المثلية أى بين امرأة وامرأة وبين رجل ورجل .

وعلى امتداد المتصل بين القطبين توجد درجات كثيرة تختلط فيها المشاعر والميول والرغبات . . وتلك النظرة تكشف عن مرونة كبيرة . . لأن الإنسان يولد محملاً باستعدادات معينة وكذلك يخضع لظروف بيئية تختلف من مجتمع لآخر ، كما يتعرض فى مراحل نموه المختلفة لصدمات نفسية وأخرى عضوية تشكل فى النهاية موقفه الجنسى .

** إذن هى امرأة ليست شاذة ولكنها تحتاج إلى فهم .

** وإذا افترضنا قبول الموقف المرضى فإن هناك علاجًا لبعض الحالات بشرط أن تكون هذه هى رغبة المرأة وليس تحت ضغط آخرين . . أريد أن تقول المرأة صراحة لطبيبها النفسى : أريد أن أقتل رغبتى فى النساء . . أريد أن أميل للرجال . .

** وهذا ممكن فى بعض الحالات إذا أخلصت النوايا وصدق العزم : من جانب المرأة ومن جانب الطبيب.

***

اغتيال الأنوثة

** كيان المرأة إحساسها بذاتها كامرأة، إدراكها لأنوثتها، وكذلك ثقتها بنفسها، كل ذلك يرتبط بصورتها المرسومة فى عقلها عن جسدها.. تصورها عن كل جزء من جسمها.. مدى مساهمة كل جزء فى إبراز جمالها وأنوثتها وجاذبيتها وقبول الرجل وميله إليها.. شعرها.. أنفها.. شفتاها.. عيناها.. وجنتاها.. ثدياها.. أظافرها.. بشرتها.. أذناها.

** المرأة منذ مرحلة مبكرة جداً من عمرها تحفظ شكل وحجم وموقع كل جزء من جسمها وعلاقته بالأجزاء الأخرى.. تعى كل التفاصيل بدقة وتستطيع وهى مغمضة العينين أن تسترجع كل جزء بوضوح كامل.

** وعلاقة المرأة بالمرأة علاقة خاصة جداً. وكذلك علاقتها بعيون الناس.. فهى ترى نفسها فى المرآة وتدرك تأثيرها فى عيونهم.. فهى تعودت أن تنظر إلى المرآة أكثر من مرة فى كل يوم، وكلما أتيحت لها الفرصة، بهدف وأحيانًا بدون هدف، وهى تستعد لمقابلة الناس حتى وهى وحيدة مجرد أن تذهب إلى المرآة وتتأمل نفسها للحظات وعيون الناس مرآة أخرى.. مرآة حية ناطقة تعطيها رد الفعل الفورى ومدى تأثير جمالها وجاذبيتها.

وهنا يتضح الاختلاف الجوهرى بين المرأة والرجل فى العلاقة مع المرأة والعلاقة مع عيون الآخرين.. والمرأة تتعرض لاختبار

جديد مع كل عيون جديدة تقع عليها . . أو هى تريد أن تمتحن قدراتها، تريد أن تدرك ذاتها، تريد أن تكتسب ثقة أزيد بالنفس .

** ولكن الأمر يتوقف أيضًا على كيف تشعر هى داخل نفسها . . إذا شعرت بأنها فى حالة طيبة فإنها سوف تبدو جذابة للآخرين، وإذا شعرت أنها فعلاً جذابة فإن ذلك سوف ينعكس على حالتها المعنوية فتشعر أنها فى حالة طيبة .

إذن هى حلقة متصلة تبدأ من تصورها عن نفسها وحالتها المعنوية ثم عيون الناس التى تعكس لها جاذبيتها، فتشعر أنها جذابة فعلاً وبذلك ترتفع روحها المعنوية وهكذا .

** إن الأمر لا يتعلق فقط بمظهرها الخارجى إنما يتعلق أيضًا برضاها عن نفسها وإحساسها بذاتها وتصورها عن جسدها . . إن صورة الجسد تكون مطبوعة فى الداخل . . فهناك صورة تراها فى المرآة، وصورة أخرى تراها فى الداخل .

وحقيقة أن صورة الخارج التى تعكسها المرآة تؤثر على الحالة المعنوية، ولكن صورة الداخل هى التى تحدد الإحساس الحقيقى بالذات . . فالمرأة قد تكون جميلة ولكنها تشعر داخلها أنها دميمة، غير مقبولة، مرفوضة، ولهذا فبالرغم من جمالها سترى نفسها مشوهة، سترفض نفسها . . ستكره نفسها . . ستفقد الثقة بنفسها . . هكذا هى صورتها المرسومة داخلها عن نفسها .

** وقد يكون الشكل الخارجى قليل الجمال، ولكنها رسمت فى داخلها صورة جميلة عن نفسها، صورة جذابة، صورة تنطق

دائمًا بالحيوية. وتلك إحدى سمات الشخصية الناضجة.. إذ تتجاهل التفاصيل غير الجميلة فى مظهرها الخارجى وتكون الصورة الكلية المرسومة داخلها صورة جميلة وشائقة وجذابة، ويصاحب ذلك حالة معنوية مرتفعة تنعكس على سلوكها تجاه الآخرين والذى يتميز بالثقة بالنفس.

والمرأة إذا كانت واثقة بنفسها وشعرت أنها جميلة حقّاً وجذابة فإن ذلك سيترك فعلاً أثرًا طيبًا على الآخرين.. إذن ستكون هناك حلقة إيجابية بدأت من داخلها وانتهت إليها مارة بعيون الناس.

** والقصة تبدأ منذ وقت بعيد فى الطفولة من خلال عيون الأم وإعجابها وقبولها وتقبلها ومديحها.. أول عيون نرى فيها أنفسنا هى عيون الأم.. انعكاساتنا.. نراها على سطح عيون الأم.. هى المرأة الأولى فى حياتنا قبل أن نعى وجود المرأة وأهميتها.

إن أول مرآة تتطلع إليها هى عيون الأم.. ابتسامة الأم تعنى سعادتها بنا.. ضحكاتها معناها قبولها لنا.. نظرات الحب معناها جدارتنا.. نظرات الإعجاب معناها جاذبيتنا.. كلمات المديح وعلامات الرضا على وجهها هى الأعمدة الأساسية للثقة بالنفس.. إن الأم تلعب أخطر الأدوار فى إحساس الإنسان بذاته.. بكيانه المادى والمعنوى.. بجماله الجسدى وجماله النفسى.. الثقة بالنفس مصدرها الأم، وانهيار هذه الثقة مصدرها الأم أيضًا.

** قد تظل الفتاة معقدة طوال حياتها من شكلها وفاقدة الثقة بنفسها لأن أمها زرعت فى داخلها هذه الأحاسيس المريرة.. لأنها

رأت نفسها دميمة فى عيون أمها . . لأن الأم امتدحت جمال أختها الأكبر أو الأصغر منها . . لأن أمها كانت دائمة النقد لها .

** وبعد ذلك تأتى عيون الأب . . فإذا أعطانا الأب اهتمامًا فمعناه أننا مهمومون وأن لنا وجودًا وحضورًا وأن لنا قيمة . . وإذا أهملنا الأب فنحن لا شيء . . نحن لا نستحق الحياة . . وإذا انشغل الأب بطفل آخر فإنه يقضى علينا . . وإذا انشغل الأب بامرأة أخرى غير الأم فهذا يهدم كل مشاعر الثقة .

وهذا الموقف بالذات يؤثر على الطفلة أكثر من تأثيره على الطفل . . إن الطفلة التى ترى أن أباها قد فضل امرأة أخرى غير أمها وأراد أن يكون له أطفال منها يجهز على ثقة هذه الطفلة بنفسها . . يدمر صورتها عن نفسها . . يشوه إدراكها لذاتها .

** وبعد ذلك تأتى الدائرة الأوسع . . الأقارب . . الجيران ، الأصدقاء ، الزملاء فى المدرسة ، المدرسات ثم الناس فى الشارع . . كيف ينظر الناس إلينا . . كيف يتعاملون معنا . . نظرات الإعجاب والاندهاش . . نظرات القبول والاستحسان . . كلمات المديح والإطراء .

** هكذا تتشكل الصورة الداخلية عن الذات . . جسدًا ونفسًا .

●●●

** إن المرأة تحتاج فى كل لحظة من حياتها أن تشعر أنها امرأة . .

أنها أنثى . . والأشياء التى تؤثر على شكل المرأة ومظهرها وتضعف من أنوثتها يكون لها أثر سيئ على نفسيتها وتمثل إجهاداً وضغطاً شديدين . . قد لا تنزعج المرأة كثيراً للمشاكل الصحية التى ليس لها تأثير مباشر أو غير مباشر على شكلها الخارجى وجمالها وإذا كانت بعيدة عن مناطق أنوثتها .

** والمراهقات ينشغلن إلى درجة كبيرة بالأمور المتعلقة بالشكل والمظهر والجمال . . يدمن التطلع للمرآة . . ويدمن اختبار قدراتهن فى عيون الشباب الصغار من هم فى مثل أعمارهن . . يقلقن من حجم أو شكل الأنف ، أو أن الثدى أصغر أو أكبر من اللازم . . تنهار الفتاة الصغيرة إذا وجهت إليها كلمة نقد تتعلق بشكلها ، وترتفع روحها المعنوية إلى السماء إذا تلقت كلمة إعجاب . . وتظل الفتاة الصغيرة إلى وقت طويل منشغلة بمظهرها وشكلها وكل جزء من جسدها وينعكس هذا على اهتمامها بملابسها وزينتها . . ونرى فتاة منذ طفولتها وهى تعنى عناية شديدة بمظهرها ويسعدها اقتناء أدوات المكياج وشراء الفساتين وتنفق كل دخلها فى هذا الاتجاه .

وقليل من الفتيات الصغيرات اللائى لا يبدين مثل هذا الاهتمام . . وقد يظل هذا الاهتمام مع الفتاة الصغيرة حتى بعد أن تكبر وتصل إلى سن الشباب . . وحتى بعد أن تتعدى سن الشباب تظل طوال حياتها منشغلة بمظهرها وملبسها ومدى تأثيرها على الآخرين وخاصة الرجال ، وتلك هى النوعية من النساء التى تعانى بشدة بعد ذلك حين تبدأ مظاهر تقدم العمر على الوجه والشعر والجسم .

** ولكن عمومًا فإن المرأة حين تصل إلى مرحلة النضج فإنها تقبل بعض النقائص فى شكلها مثل حجم الأنف أو شكل الأذن أو لون البشرة أو قصر القامة أو البدانة إلى آخر تلك العيوب الشكلية . . تقبلها المرأة الناضجة بل وقد تعتبر أن ذلك ما يميزها وتشعر أن شخصيتها وجاذبيتها وقدرتها على الحب تعوضها كل نقائصها الشكلية .

ثمة إحساس داخلى وعميق بالتمكن الأنثوى والقدرة على التأثير من خلال الذكاء، ومن خلال الإحساس، ومن خلال عاطفة حب لا تستطيع أن تمنحها إلا أنثى حقيقية .

إنها تركيبة عقلية نفسية تضفى شكلاً خاصاً على الأنثى فتبدو رائعة الجمال . . هذا بالإضافة إلى العناية بالمظاهر الأنثوية فى الحديث والسلوك .

ولهذا فهناك امرأة متواضعة جداً فى جمالها ولكنها تفيض أنوثة وجاذبية وثقة بالنفس . . وامرأة أخرى توفر لها كل مقومات الجمال ولكنها تفتقد لأى جاذبية أنثوية . . فالأنوثة هى إحساس المرأة بذاتها من خلال الرجل . . من خلال علاقة وعطاء .

إنها إحساس يقينى بالانتماء إلى جنس معين والقدرة على التواصل والارتباط بالجنس الآخر . . إنه تقبل للدور الأنثوى وأداء لهذا الدور عن اقتناع ورضا .

إن الأنوثة إحساس داخلى يفيض بمظاهره على الشكل الخارجى . . والدليل على ذلك أن جراحات التجميل لا تزيد إحساس المرأة بالثقة . . قد تقدم المرأة على جراحة تجميل لتعديل

شكل أنفها أو أذنيها أو لزيادة حجم ثديها أو العكس، ولكن ذلك لا يجعلها تشعر بالطمأنينة التى تنشدها.

وهذا يؤكد المعنى السابق شرحه وهو أن هناك صورة مرسومة عن الجسد بالداخل ليس لها علاقة كبيرة بصورة الجسد الحقيقية.. صورة يسهم فى تشكيلها الشعور الأنثوى الفطرى الغريزى والثقة بالنفس والذكاء.

صورة قد تكون جميلة بالرغم من تواضع الشكل الخارجى، وقد تكون دميمة بالرغم من جمال الشكل الخارجى.. ولهذا فإن جراحات التجميل محدودة الأثر النفسى حتى وإن أدت إلى تحسن الشكل الخارجى.

●●●

** والاهتمام الزائد بالشكل والقلق من أجل جزء معين فى الجسم والرغبة الملحة فى إجراء جراحة تجميلية قد يخفى وراءه مرضًا نفسيّاً أو عقليّاً خطيرًا.. ويجب أن يكون جراح التجميل حذرًا فى التعامل مع مثل هذه الحالات لأن أى تغيير فى شكلها بعد الجراحة حتى وإن أدى إلى صورة أفضل فإنه لن يغير فى عدم رضاها الداخلى، لأن الخلل فى الداخل وليس فى الخارج.

فقد يكون مثلاً شكل الأنف طبيعيّاً أو حتى كبير الحجم قليلاً بدرجة لا تلاحظه، ولكن الفتاة تظل فى حالة قلق وضيق ومنشغلة كل الوقت بحجم أنفها ودائمة التطلع للمرآة وتهمل دراستها وتنعزل عن الناس وتصر على الجراحة التجميلية لتعديل شكل أنفها.

وقد تتصور أن الناس يسخرون من شكلها وأن أنفها ملحوظ فى كل مكان تذهب إليه . . وهى لا تصدق رأى الآخرين فى أن أنفها يبدو طبيعيّاً وأنه ليس بحاجة إلى جراحة ، وتصر على موقفها ، وتتوقف حياتها بالكامل . . وإذا خضع الأهل لرغبتها ووافق جراح التجميل . . فإن المرض الحقيقى يتفجر بعد الجراحة ، إذ إنها لن ترضى عن نتائج الجراحة وستطالب بجراحة أخرى وتظل تطارد الجراح الذى أفسد لها أنفها وشوه جماله .

هذه الفتاة مريضة بحالة تعرف باسم «مخاوف اختلال الشكل» وقد تكون مريضة بمرض عقلى بالفصام . . فى الحالة الأولى تكون المريضة سوية من الناحية العقلية ولكن تسيطر عليها فكرة أن هناك عيبًا فى شكلها وأن هذا العيب يلاحظه الجميع وأنه السبب فى تشويه جمالها وأن الحياة لن تطيب لها إلا إذا أجريت الجراحة . . فيما عدا ذلك فإن كل شىء يبدو طبيعيّاً فى تفكيرها وعواطفها وسلوكها .

وقد تقتنع بعض الوقت أن ليس بها عيبًا أو أنه عيب بسيط لا يستدعى التدخل الجراحى ، ولكن تعاودها الفكرة مرة أخرى وتسيطر عليها .

أما مريضة الفصام فإن الفكرة تكون راسخة ولا يمكن إقناعها بالعكس وتسيطر عليها كل الوقت وتصرفها عن أى شىء فى الحياة ، وتدريجيّاً تظهر بقية أعراض المرض كاضطراب التفكير

والتعثر الدراسى والتبلد الوجدانى واضطراب السلوك. . ومثل هذه الحالات يجب عرضها على الطبيب النفسى قبل أى تدخل جراحى لأن الحالة قد تتدهور تدهوراً سريعًا بعد الجراحة مباشرة.

●●●

** وكلما تقدم العمر بالمرأة فإن عليها أن تتقبل التغيرات الحتمية فى الشكل والتى لا يمكن مقاومتها. . يفقد الجلد حيويته ومرونته وتظهر التجاعيد وتتغير ملامح الجسد ويضعف الشعر ويتغير لونه ويتأثر السمع والبصر وقد تحتاج إلى نظارة أو وسيلة للسمع. . وقد تبدأ متاعب المفاصل.

ومعظم النساء يتقبلن هذه التغيرات ويودعن بلا حزن شديد مرحلة الشباب. . وهذه هى أهمية نضج الشخصية وتطورها. . إنها تستطيع أن تقف فى وجه المتاعب النفسية التى قد تواجهها المرأة مع تقدم العمر. . لا بد أن يكون لها رصيد من العلاقات الإنسانية الدافئة التى تعطيها الإرضاء وخاصة إذا كان هناك شريك لحياتها يتقدم معها فى العمر. . هذا الشريك سيتقبلها كما هى، لأن قبوله لها لن يكون مرهونًا بشكلها ولكن بكلها بكل أبعادها الشكلية والفكرية والمعنوية.

والمرأة التى تكون وحيدة فى هذه المرحلة تواجه صعوبات كثيرة، ومن الصعب أن تبدأ علاقة جديدة مع إنسان يرتبط بها من خلال كيانها كإنسانة.

فى هذه الحالة سيلعب الشكل دوراً مهمّاً ومحدداً فى مسار العلاقة وسيشكل بعداً ضرورياً فى علاقتها بالرجل الجديد مما سيزيد من أعبائها النفسية ويجعلها تبدى اهتماماً غير عادى بمظهرها بل والمبالغة فى هذا المظهر وتقلق مع كل تطورات تأتى بها الأيام. وتكون حساسة لأى نقد، وتكون أيضًا حساسة فى علاقتها بهذا الرجل وخاصة فيما يتعلق بموقفه من أى امرأة أخرى وخاصة إذا كانت تصغرها سنًا أو تفوقها جمالاً أو تملك أى ميزات أخرى.

** مشكلة المرأة أنها فى هذه المرحلة تتجاهل إمكانيات أخرى أكثر أهمية فى علاقة المرأة بالرجل، وهى قدرتها على إثراء الحياة بما لها من خبرة وإحساس عميق وفهم كامل للحياة وبما لها من قدرة على العطاء والحب الحقيقى، وتلك احتياجات أساسية وضرورية فى أى علاقة.

من المهم ألا تشعر المرأة بالعجز وافتقاد الثقة بالنفس لأن ذلك قد يدفعها إلى حماقات، وتكون أذنها حساسة ومتشوقة لأى كلمات مديح قد يكون معظمها غير حقيقى وتخفى أغراضًا أخرى ولكنها تنساق وراءها.. وقد تبدى اهتمامًا بمن هم أقل منها سنّاً من الرجال لأن ذلك سيعطيها إحساسًا بأنها مرغوبة حقّاً وأنها تبدو صغيرة بدليل اهتمام صغار السن بها.

وقد يدفعها هذا إلى تغيير كل الأوراق الرسمية التى تشير إلى سنها الحقيقية وتلك إحدى الحماقات التى قد تعرضها للمساءلة القانونية أو الحرج الاجتماعى.. وقد لوحظ أن جراحات شد جلد

الوجه لإخفاء التجاعيد تنتشر أكثر بين من يقمن بوظائف معينة وأيضًا بين السيدات اللاتى تقدمن فى العمر وهن وحيدات أو اللاتى يردن تغيير مسار حياتهن الشخصية .

●●●

** وإذا كانت المرأة تشفق على نفسها من تقدم العمر وتلحظه وهو يتسرب بإصرار الواثق من استحالة التراجع يومًا بعد يوم وعامًا بعد عام وهى عاجزة مستسلمة أمامه فهذا هو الحال مع كل البشر وهو أمر تتوقعه وتقبله من كانت ذات عقل واعٍ وناضج . إلا أنها قد تفاجأ بضربات غير متوقعة من القدر فى صورة أمراض تنال من أنوثتها وهى فى أوج اكتمالها .

** والمرأة لا يزعجها المرض فى حد ذاته قدر انزعاجها من تأثيره على جمالها وجاذبيتها وأنوثتها وتأثيرها على الرجل . . فهناك أمراض لها تأثير مباشر على الشكل الخارجى كإصابات العصب السابع الذى يغذى عضلات الوجه ومثل جلطات شرايين المخ التى تؤثر على الحركة والمشى أو الأمراض الجلدية المزمنة أو الحوادث التى تترك آثارًا دائمة وخاصة فى الوجه .

ولا أحد يستطيع أن يقف فى وجه القدر ولا أن يتفادى ضرباته حيث لا تنفع براعة أو حذر . . وتلك أحداث غير سعيدة فى حياة المرأة وفى حياة أى إنسان تؤثر على الشكل الخارجى وبالتالى تضعف ثقة الإنسان بنفسه وتؤثر على علاقاته بالآخرين وخاصة الجنس الآخر .

والتقدم الهائل الذى حدث فى مجال جراحات التجميل يخفف من هول هذه الآلام ويعيد للإنسان رونقه وتناسقه إلى ما كان عليه قبل المرض أو الحادث .

●●●

هذا فيما يتعلق بالشكل الخارجى والأشياء الظاهرة . . ولكن هناك عضو داخلى ، قابع فى أعماق الأحشاء يلفه ظلام ومحاط بأنسجة وشحوم وعضلات وجلد ثم ملابس ، لا تراه عين ولا تلمسه يد ولا يدرك حتى وجوده أحد ولا يلعب أى دور فى الشكل ولا تأثير له فى أى علاقة .

ورغم وجوده فى غياهب البطن وعدم دنوه وانعدام تأثيره إلا أنه هو عمود الإحساس بالأنوثة ومركز الحياة ومبعث الفخر ومحور كيان المرأة تزدهى به وهو غير ظاهر وتشعر به وهو غير محسوس . . ويكفيها أنه بداخلها حتى وإن فقد قدرته على العمل . . حتى وإن أصبح عضواً عاطلاً زائداً عن الحاجة . . أى انعدم دوره الفسيولوجى ولكن يظل دوره المعنوى حتى آخر يوم فى عمر المرأة .

** هذا هو الرحم . . والذى تنبعث منه مرة كل شهر دماء كثيرة لعدة أيام تعرف بالطمث أو الدورة الشهرية والتى تقدم دليلاً على خصوبة المرأة وقدرتها على الإنجاب ، وهو الوعاء الذى يحتفظ بالجنين شهورا تسعة أشهر يمده بالحماية والحياة . . يتحرك فيه الجنين فتتقلص عضلاته محدثة ألمًا موجعًا ولكن من ألذ الآلام وأمتعها ، ثم يتقلص بشدة طاردًا بحنو وحب الجنين فى نهاية الشهور التسعة

محدثًا آلامًا فوق قدرة أى إنسان على التحمل ولكنها تتحمل صارخة ممعنة فى الصراخ وممعنة فى استشعار الألم لتعلن للجميع أنها مخصبة نبع الحياة النابضة بالقدرة على الحب . . وما يحدث الآن هو وليد لحظة حب استسلمت فيها لرجل شده إليها أنوثتها .

** وفى الخامسة والأربعين أو بعدها بقليل يكف الرحم عن بث الدماء الشهرية حيث تنعدم البويضات ويصبح عضواً بلا وظيفة . . ولكن المرأة تظل محتفظة به أو هى ترفض التخلى عنه أو تماطل فى التخلى عنه حتى وإن بدا أن هناك سببًا قوياً للتخلص منه ليظل داخلها رمزاً على أنها كانت مصدراً للحياة ، وليظل مرجعًا للذكريات وشاهداً على ما كان .

** ولأنه منذ وعت المرأة أنوثتها وهى تعتبر رحمها هو عين الأنوثة ولذا ساهم فى بناء صورتها عن نفسها وإحساسها بذاتها وإدراكها لكيانها . . ومثلما لا يمكن أن نتخيل صورة إنسان بلا رأس فإنه لا يمكن تخيل صورة أنثى بلا رحم .

** ولذا فهى صدمة قاسية حين ينهى إليها الطبيب قراره بضرورة إزالة الرحم ، إنه مثلما نخبر إنسانًا بضرورة إزالة رأسه أى إعدامه وإنهاء حياته .

إن قرار إزالة الرحم هو قرار بإعدام الأنوثة . . تتلقاه المرأة بفزع وتنهار فى داخلها دون أن يلحظ أحد وتشعر بالأسى على فقد أعز ما تملك . . تحزن وتأرق وتفقد شهيتها للطعام وتفقد شهيتها للحياة .

تمر المرأة بفترة عصيبة بعد تلقيها القرار الطبى الحاسم وتنطوى على نفسها وعلى أفكارها القائمة وتعيش أيامًا وشهورًا وهى مترددة وتتنازعها رغبات متعارضة ويشتد الصراع إذا كان بقاؤه يهدد حياتها تهديداً فعلياً باستمرار النزيف وإنهاك قواها أو لوجود ورم خبيث أو حتى حميد ولكنه مصدر دماء لا تتوقف.

إنه من أصعب القرارات التى تتخذها المرأة فى حياتها ولا يتخيل قدر صعوبته إلا امرأة مثلها . . لا يمكن للرجل مهما كانت نسبة التأنث فيه أن يتصور مدى الشقاء الذى تشعر به المرأة حيال هذا الموقف.

وإذا اضطرت المرأة لإزالة رحمها قبل أن تتزوج فهذا هو الإعدام الحقيقى، وبعد الزواج أيضا إذا كانت لم تنجب بعد . . ولكن الأمر يظل شديد الصعوبة والقسوة حتى وإن كان لها أطفال ولكن هذا معناه أنها ستحرم بشكل نهائى من فرصة إنجاب أطفال آخرين . . بالإضافة إلى انقطاع الطمث وبالتالى اختلافها عن بقية النساء.

وكل امرأة تتصور أن الرحم هو عضو جنسى فهو امتداد لأعضائها التناسلية وبالتالى تتصور أن له دورًا فى العلاقة الجنسية . . وبالرغم من عدم صحة هذا إلا أنها ترفض التخلى عن هذا التصور وبالتالى فإنه فى حالة إزالة الرحم تتصور أنها ستصبح منقوصة جنسياً وأن الرجل سوف يستشعر هذا النقص مما يؤثر على درجة إقباله عليها وانجذابه لها.

وكثير من النساء تتأثر مشاعرهن الجنسية بعد إزالة الرحم بسبب هذا التصور الخاطئ وليس لأسباب عضوية وقد يتأثر الرجل أيضًا

تحت وهم هذا الاعتقاد الخاطئ أو بسبب اضطراب المرأة ذاتها . . ورغم أن كليهما -الرجل والمرأة- لا يحسان بأى تغيير تشريحى وأن الأمور هى هى كما كانت عليه قبل إزالة الرحم إلا أنهما يشعران أن هناك شيئًا مفقودًا ، شيئًا كانا يدركان وجوده قبل ذلك ، أما الآن فإن هناك فراغًا فى هذا المكان .

وبالطبع فإن هذه حالة نفسية لا أساس عضوى لها لأن المرأة ذاتها لا تشعر برحمها وكذلك الرجل لا يلامسه أثناء العلاقة الجنسية . . ولذا فكلاهما الرجل أو المرأة على وجه الخصوص فى حاجة إلى علاج نفسى للتخلص من هذه المشاعر غير الحقيقية والتى تسبب ألمًا مضنيًا .

** وقد يزال الرحم والمرأة على أعتاب سن اليأس أى قبل انقطاع الدورة . . وهنا يكون له نفس تأثير إزالته لدى المرأة صغيرة السن . .

** ولكن يظل له نفس الأثر السيئ حتى بعد إزالته فى مرحلة متقدمة من عمر المرأة . . تظل لديها مشاعر الفقد والأسى وأيضًا تتأثر علاقتها الجنسية بزوجها لأنها فقدت الرمز والمعنى . .

** والمرأة الوحيدة تعانى مثل المرأة التى لها زوج ، وهذا يوضح أهمية المعانى التى يحملها الرحم . . إنه عضو غير عادى فى جسم المرأة . . والمرأة غير السعيدة فى حياتها الزوجية تتأثر بدرجة أكبر لإزالة الرحم . . الآثار تكون محدودة إذا كان الزوج متفهمًا ومساندًا ومتعاطفًا ومشاركًا لها فى هذه الأوقات الصعبة .

إن أكثر ما تحتاج إليه المرأة فى هذه الأوقات هو مزيد من الحب والاهتمام وبالذات من الرجل الذى تحبه . . تريد أن تشعر بالطمأنينة وكأنها تريد تأكيداً أنها ستظل المحببة والمرغوبة إليه دائماً وفى كل الأحوال .

وقد لا تعانى المرأة من أى آثار نفسية سيئة بعد إزالة رحمها إذا أظهر زوجها الحب الصادق الحقيقى وأبدى دائماً رغبته فيها وإذا ظلت علاقتهما الجنسية على نفس المستوى الذى كانت عليه قبل إجراء الجراحة . . إن علاج الآثار النفسية لإزالة الرحم هو مزيد من الحب . .

** وقد تصاب المرأة باكتئاب مرضى حقيقى بعد إزالة الرحم وخاصة إذا كان لديها الاستعداد لهذا المرض أو إذا كانت قد أصيبت به قبل ذلك أو إذا كان أحد أفراد أسرتها قد أصيب بمرض الاكتئاب .

وأيضاً نستطيع أن نتوقع المرأة التى ستصاب بالاكتئاب بعد إزالة رحمها . . هذه المرأة تصاب بالقلق الشديد حين تعرف رأى الطبيب بحتمية إزالة الرحم ، وتتردد كثيراً فى اتخاذ القرار رغم خطورة حالتها المرضية .

هذه المرأة قد تتردد شهوراً طويلة رغم النزيف المتكرر أو المتواصل الذى يؤثر على صحتها العامة أو رغم الأورام التى تزداد حجماً داخل رحمها . . وحين يهدد المرض حياتها تهديداً فعلياً فإنها تقبل الجراحة صاغرة ولكنها تصاب بالاكتئاب المرضى بعد الجراحة مباشرة . . فتشعر بالحزن الشديد واليأس وأنها أصبحت

عديمة القيمة وأنها لا تستحق الحياة وتفكر جدياً فى الخلاص من حياتها وتمتنع عن الأكل ويمتنع عنها النوم وتصاب بالهزال والضعف وتنسحب من الحياة وتفقد كل حماسها وكل قدرة على الاستمتاع .

وهذه الحالة تستوجب العلاج الفورى الحاسم . . وقد تصاب بحالة أقل حدة تشبه حالة الأسى حين يفقد الشخص إنسانًا عزيزًا عليه عن طريق الموت . هنا أيضًا تفقد حماسها ويغشاها الحزن وفقدان الأمل وعدم جدوى الحياة وتشكو من أعراض جسدية وتفقد رغبتها الجنسية تمامًا ويضطرب نومها وشهيتها للطعام . . ولابد هنا أيضًا من التدخل الطبى بالعلاج النفسى والعلاج بالعقاقير المضادة للاكتئاب .

** وقد تضطرب العلاقة الزوجية اضطرابًا شديدًا بعد إزالة الرحم ليس بسبب عدم إقبال الزوج ولكن بسبب الاضطراب الشديد الذى يصيب المرأة والذى يجعلها أقل ثقة بالنفس وبالتالى أكثر عصبية وحدة واندفاعًا وأكثر شكاً وتحتاج إلى تأكيدات أكثر من زوجها بقبولها والإقبال عليها مما يؤدى إلى اضطراب العلاقة بينهما .

كما أن إزالة المبيض مع الرحم يؤدى إلى ظهور أعراض سن اليأس والتى تتسم بالحساسية الشديدة والعصبية والشعور باليأس والضيق وكذلك الاندفاع والحدة والشك وسوء الظن . . هذا بالإضافة إلى الأعراض الجسمانية المؤلمة .

وهذا هو ما يجب أن ينبه له الطبيب قبل الجراحة وأن تستعد له المرأة وأن يستعد له الزوج أيضًا وأن يستعينا بالطبيب النفسى فى الوقت المناسب قبل أن تتدهور الأمور . . وبالرغم من أن العلاج بالهرمونات التعويضية فى حالة إزالة المبيض قد يقلل من حدة الحالة إلا أن هذا لا يمنع من ظهور الأعراض النفسية والجسدية التى تصاحب سن اليأس . . ولهذا يجب أن يتعاون طبيب النساء والطبيب النفسى فى تقييم الحالة ونوع المساعدة التى تحتاجها قبل وبعد الجراحة . .

** إذن المساعدة النفسية قد تبدأ قبل الجراحة والتى تتمثل أساسًا فى إعطاء الفرصة للمرأة للتعبير عن مخاوفها وأفكارها المضطربة وتوقعاتها الخاطئة وعلى الطبيب أن يشرح لها الحقائق العلمية بوضوح وبصراحة وببساطة وبصدق، وأن يطمئنها أن أنوثتها لن تتأثر وأن الرحم ليس له أى علاقة بالعواطف ولا بالجنس وأنها تستطيع أن تمارس أنوثتها بشكل طبيعى بدون الرحم .

ولا توجد أى دراسة علمية أثبتت تأثر الحس الجنسى والعاطفى لدى المرأة لأسباب عضوية بعد إزالة الرحم . . وبالرغم من أن بعض الدراسات تشير إلى أن المرأة تفقد رغبتها الجنسية تدريجياً مع تقدم العمر وتصل إلى أدنى درجة ما بين الخامسة والخمسين والستين . . إلا أن دراسات كثيرة أخرى أثبتت أن المرأة تستطيع أن تستمتع جنسياً حتى نهاية عمرها وإن تجاوزت الثمانين وأن الأمر يتوقف على مدى وجود الرجل الذى تحبه ومدى إقباله عليها ورغبته فيها .

ولهذا تلعب العواطف ويلعب الاهتمام دورًا كبيرًا فى تحديد نوعية الاستجابة الجنسية لدى الطرفين ومدى إقبال كل منهما على الآخر.

●●●

** وليس من الصعب أن نفهم لماذا حُمل الرحم بكل هذه المعانى، ولماذا احتل هذه المكانة عند المرأة بالرغم من موقعه الخبىء وبعده عن الأيدى والأعين.. وبالرغم من من أنه لا يؤدى إلى وظيفة بعينها وهى حمل الجنين.

** إلا أنه قد يكون من الصعب أن نتصور أن الثدى لدى المرأة قد حمل بمعان مشابهة وأنه يحتل مكانة بارزة لدى المرأة ولدى تصورها عن نفسها كأنثى وكذات وكيان قادر على الحب.. هو أيضًا -الثدى- يرتبط بالجمال والأنوثة والجاذبية والحب والجنس، ويلعب دورًا مهمّاً فى العلاقة بالرجل بالرغم من أنه على ما يبدو ليس له إلا وظيفة بعينها وهى إرضاع الوليد.

** وهو من العلامات الأولى التى تشير إلى أن الطفلة فى طريقها للتحول إلى أنثى مكتملة وذلك حين يبرز وينمو وتختال به الفتاة الصغيرة أو تخجل وتشقى به وتواريه وتتوارى عن الأعين.

ومما يزيد من خجلها وضيقها أن أعين الرجال تتلصص عليه وتلتهمه وتحاول أن تكشف ستره.. كما أنه من الأماكن التى لا بد أن تتغطى وأن يُحكَم غطاؤها وإذا كشفته امرأة فإنها تدان بالاستهتار والانحراف.. وأول ما تحاول أن تتخلص منه الفتاة حين تبغى التحول إلى رجل هو الثدى فهو العلامة الظاهرة البارزة التى تؤكد الأنوثة.

** وهو من الأماكن التى تستهوى الرجل فى جسم المرأة، وهو أيضًا محمل ببعض الأعصاب الحسية التى تشكل جزءًا من الأحاسيس الجنسية عند المرأة.. وتنشغل به الفتاة الصغيرة والمرأة الناضجة إذا كان به عيبًا كأن يكون صغيرًا أو كبيرًا فى الحجم أكثر مما ينبغى، ولذا فهو من الأماكن التى طالتها يد جراح التجميل فيستطيع أن يحشوه ليزداد حجمه أو يقص منه لينقص من تدليه وليصلح من شكله.. واهتم به مصممو الأزياء وفهموا أهميته بالنسبة لجمال المرأة فأعطوه أولوية فى تصميماتهم ليصبح أكثر تأثيرًا.

** ولذا فإن قرار إزالته يسبب صدمة قاسية بالنسبة لأى امرأة.. وقرار الإزالة قد يكون حاسمًا وقاطعًا يحمل معنى الأمر أكثر من مجرد النصيحة الطبية ولا يعطى فرصة للمرأة للتردد أو التراجع. وتجد المرأة نفسها فى خلال يومين أو ثلاثة وقد أزيل أحد ثدييها تمامًا.. يحدث هذا فى حالة أورام الثدى.

والإحصائيات العالمية تقول إن امرأة من بين كل ١٢ امرأة تصاب بأورام الثدى.. وفى بلد مثل بريطانيا على سبيل المثال حيث الإحصاءات الدقيقة يصاب ٢٥,٠٠٠ امرأة كل عام بأورام الثدى، ولكن لحسن الحظ فإن ٩٠٪ من هذه الأورام تكون حميدة ويزال فقط الورم دون التخلى عن الثدى، أما فى باقى الحالات (١٠٪) فيجب إزالة الثدى بالكامل وما حوله من عضلات وأغشية.

وتفاجئ المرأة بهذا البتر المفاجئ وتشعر بأحزان الفقد وتهتز من داخلها اهتزازًا عنيفًا وتأسى على ثديها وعلى أنوثتها الضائعة وجاذبيتها التى فقدتها.. تنهار ثقتها بنفسها تمامًا وقد تكون آلامها

مضاعفة عن آلام المرأة التى فقدت رحمها لأن الأمر ظاهر وخاصة إذا كشفت عن صدرها وهذا أمر صعب تحاشيه بالكامل سواء بمفردها أو مع زوجها.

قد تنسى المرأة التى انتزع منها رحمها بعض الوقت ولكن المرأة التى بتروا ثديها لا تنسى أبدًا كلما تحسست صدرها أو كلما كشفت عنه أو كلما شاهدت امرأة سليمة الثديين.. إنها حالة من الألم المستمر التى تؤثر على مزاج المرأة واستمتاعها بحياتها وتؤثر على علاقتها بزوجها وعلى استجابتها العاطفية والجنسية وخاصة إذا أبدى الزوج تأثيرًا أو نفورًا فى البداية.

أن كلا الزوجين يحتاجان معًا إلى المساندة النفسية من الطبيب ليتكيفا على الوضع الجديد ولكى يستطيعا استئناف حياتهما العاطفية والجنسية بصورة طبيعية.. يحتاج الأمر بعض الوقت للتكيف على الوضع الجديد ولإيجاد الوسيلة لتناسى وتجاهل الصورة الجديدة ثم تقبلها حتى ينعدم تأثيرها على إحساس المرأة بأنوثتها وذاتها، أى لكى تبرأ من التشويه الذى أصاب صورتها المرسومة فى عقلها.

إن البتر الحقيقى يكون فى صورة المرأة الداخلية والتى تغذى إحساسها بأنوثتها وثقتها بنفسها وتحدد إقبالها على الرجل واستجابتها لإقباله.. قد تعتاد العين البتر الخارجى ولكن العين الداخلية تظل قلقة حائرة ضائقة لا تغمض ولا تعتاد.

** وهناك جراحات حديثة لإعادة الشكل إلى ما كان عليه، وقد ينصح الطبيب النفسى بها لإعادة التوازن النفسى للمرأة إذا

فشلت الوسائل التقليدية فى العلاج وإذا عجزت المرأة على التكسف والتقبل .

** فى البداية تتأثر بشدة العلاقة الجنسية إذ تصاب المرأة بالفتور التام، وقد يصاب الزوج بنفس الفتور . . وتتحسن الرغبة من الطرفين تدريجياً وخاصة إذا كانت العلاقة بينهما طيبة .

والزوج يلعب أهم الأدوار فى حياة المرأة فى هذه الحالة، إذ هو الذى يساعدها على أن تستعيد ثقتها بنفسها . . إن نظراته الحانية الخالية من القلق ولمساته الرقيقة المشبعة بالحب وإقباله الصادق المدفوع بالرغبة والذى لا تخطئه المرأة فى عينيه . . كل ذلك من شأنه أن يعالج التشويه الذى أصاب صورتها الداخلية فتقبل على الحياة وعلى زوجها بأحاسيس جديدة وتصبح الحياة فعلاً مشرقة بعد فترة من الإظلام التام الذى اجتاح كل جنبات نفسها .

** وثمة مخاوف أخرى تسيطر على المرأة وعلى زوجها من احتمال ظهور المرض مرة أخرى . . وقد تسيطر فكرة الموت عليها .

هذه المخاوف وهذا القلق يعصف بطعم الحياة ويزيل بهجتها ويشل سريانها ويجهض روح الحماس والانطلاق والاستمتاع . . وهى مخاوف لها أساس من خبرة حديثة ما زالت آثارها باقية شاهدة . . فمن كان يتوقع أن تصاب بهذا المرض وليس من سبب ظاهر أو خفى .

هكذا فجأة وهى تتحسس ثديها اصطدمت يدها بهذا الورم وفى غضون أيام أزالوا ثديها وإلا . . وإلا ينتشر المرض وتذهب حياتها . . إذن الموت كان قريبًا منها . . على بعد خطوات . . ومن

يضمن أنه ابتعد نهائيّاً!! أى لا أمان.. ورغم أن الإنسان.. أى إنسان يعرف أنه سيموت يومًا ما إلا أنه يرى أن هذا اليوم بعيد جداً، ولهذا فهو لا يفكر فيه وكأنه أبدى ومخلد.

وكل الناس من حوله تتعرض للخطر وبعضها يموت إلا أن لديه إحساسًا نفسيّاً بأنه بعيد عن الخطر وبعيد عن الموت.. ولكن ظهور الورم وإزالة الثدى تجعل الأسرة تفيق من هذا الوهم.. يضع أمامهم الحقيقة ناصعة: الموت ليس بعيداً كما تتصورون.. ولهذا يحدث تغير على حياة هذه الأسرة ويهز إلى حد ما تكيفها واستقرارها.. ولا شيء أقسى من أن يفقد الإنسان إحساسه بالأمان ولا شيء أسوأ من أن يفقد الإنسان ثقته بالزمان.

** وهذه المخاوف قد تصل إلى حد المرض بمعنى أنها تظل مسيطرة على العقل كل الوقت وتفسد كل شيء فى الحياة، وفى هذه الحالة فإن الأمر يحتاج إلى التدخل الطبى النفسى.

** وهذه المرأة قد تصاب بالاكتئاب المرضى بأعراضه المعروفة وهى الحزن الشديد واليأس والتقليل من قيم الذات والإحساس بالدونية وبالإثم إذ تسيطر عليها فكرة أن الله عاقبها لآثامها وأخطائها فى الماضى وقد تسيطر عليها فكرة الخلاص من حياتها، وهنا يجب التدخل طبيّاً نفسيّاً بشكل حاسم.. والأمر يتوقف على مدى استعداد المرأة للإصابة بمرض الاكتئاب إلا أن كل النساء اللاتى تعرضن لجراحة إزالة الثدى يعانين من المشاعر النفسية المتضاربة الأنين: مشاعر الفقد، قلق الموت، ضعف الثقة بالنفس، الغضب بسبب التشويه الذى حدث وكذلك الشعور بالاغتراب.

** وبعد أن تضيق المرأة من هذه المشاعر السلبية المؤلمة وتستعيد توازنها قد تمر بحالة معاكسة أى مناقضة لما مر بها من مشاعر فتندفع لتستمتع بحياتها بصورة مبالغ فيها . . فالتهديد الذى يحمله المستقبل غير المضمون يجعلها تتمسك بالحاضر لتحقق كل الرغبات المؤجلة . . فالإنسان أى إنسان وخاصة إذا كان فى مرحلة الشباب وإذا كان بعيداً عن الخطر فإنه يؤجل أشياء كثيرة ويقول لنفسه سيكون أمامى وقت فى المستقبل لأنجز ما أريد .

ولكن بعد أن يصبح المستقبل كالضباب فإن المرأة تحاول أن تنهل من كل لحظة وأن تمتص رحيق الحاضر وألا تؤجل شيئًا للمستقبل . . إن هذه المرأة التى فقدت جزءاً من جسمها تفقد الثقة بالمستقبل .

●●●

* إن آلام الفقد فظيعة . . قد نفقد مالاً . . وقد نفقد وظيفة . . وقد نفقد شخصًا عزيزاً . . قد نفقد حبّاً . . وقد نفقد شيئًا من جسدنا . وكلها آلام فظيعة وغير محتملة تهز الإنسان حينًا من الوقت . . يقلق . . يخاف . . يكتئب . . يفقد ثقته بنفسه وبالناس وبالحياة . . وأسوأ ما قد يصل إليه أن يكره حياته . . وهو فى كل الأحوال يحتاج للمساندة . . أولاً من إنسان قريب أو حبيب إذا كان قد استطاع أن يدخر الحبيب للأيام الصعبة . . وفى النهاية لابد من مساعدة الطبيب .

***

امرأة مرفوضة..

** تُسحر أحيانًا المرأة برجل . . سحرًا قدرياً يسيطر على مصيرها ، يتعلق به فؤادها ولا تستطيع أن تنفك منه أو هى لا تريد هذا الفكاك حتى وإن بدا الحصول على هذا الرجل ضربًا من المستحيل ، وتظل تناضل أبد الدهر موزعة بين الأمل واليأس لعلها تظفر به ، ويصبح الأمر كالوسواس الذى يغزو العقل ويسيطر عليه ولا تستطيع منه خلاصًا .

وهى إذ تحبه حبّاً خالصًا ورائعًا لا تريد منه إلا الاهتمام ومبادلة الحب ليشعرها بالاطمئنان والاستقرار ، ويكون غاية مناها أن ترتبط به ويرتبط بها برباط أبدى ، وتخشى حتى الموت أن يبتعد عنها فهى لا تتخيل الحياة بدونه وتغشاها كآبة الدنيا حين تتخيل نفسها وحيدة فلا فرحة إلا معه ولا سعادة إلا به .

يهدأ خاطرها ويستقر فؤادها وتقر عينها وتنتشى نفسها بقربه ، وتشقى كل الشقاء ببعده . . ولذا تتمسك به تمسكًا لا حدود له وتعطى بلا مقابل وتتغاضى عن أخطاء أو هفوات وتلعق جراحها وتكتم آلامها وتكظم غيظها ، وحتى وإن انفجرت وثارت رجعت وندمت وتأسفت وتابت وقبلت بالحد الأدنى أو ما تجود به نفسه .

وتتذبذب مشاعرها صعودًا وهبوطًا حسب رضاه وصده فتصعد إلى السماء كطائر نشوان بنعيم الحب ، ونفس الطائر يهوى إلى

الأرض صريع الصد . . وتحار فى أمره فهو مقبل ومدبر، حار وبارد، كريم وبخيل، ضعيف وقوى، متحمس وفاتر، خيالى يفيض شعراً وواقعى ينضح صرامة، عاشق ولهان يشع دفئًا وغرامًا وسحراً ثم يبدو كالغريب جامد السطح خالى الفؤاد منطفئ المشاعر.

الأمس غير اليوم، والصباح غير المساء، ولا تدرى ماذا سيحمل الغد من مفاجآت . . ولكنها أخذت قرارها وعزمت أمرها أن لا تدعه يمضى وأن تظل معلقة به، والأمر ليس بيدها بل هو مصيرها وقدرها مكتوب عليها وهى سعيدة به وإن اشتكت، راضية به وإن ضجرت، مستسلمة له وإن قاومت . .

** وتمضى الأيام والشهور والسنوات مضافة إلى العمر الذى يتقدم ولا شىء يتغير . . وإن اقتربت ابتعد، وإن ابتعدت تصنعًا اقترب . . وإذا جاحدته قفز من أعلى مرتفع ليهرب . . وكم حاول الهروب وناضلت من أجل إسعاده ويعود ثم يعود للهروب وهو لا يدرى وهى لا تدرى لماذا يهرب ولماذا يعود . .

** هى أحبته وهو أحبها لا شك فى ذلك . . هى أخلصت له وهو أخلص لها . . هذا صدق . . هى لا تستطيع أن تحب غيره وهو لا يستطيع أن يحب غيرها . . هذا قدر . . هى لا تستطيع أن تتركه وتمضى وهو لا يستطيع أن يتخلص داخله منها . . هذا مصير.

وواضح أن الأقدار هى التى لعبت الدور الأساسى فى الجمع بين قلبيهما فوقع كل منهما فى غرام الآخر عشقًا أبدياً ولكن كتب

على هذا العشق أن يظل هائمًا حائرًا محلقًا فى السماء قريبًا من النجوم المستحيلة والأرواح الشريرة والملائكة المفعمة بالرضا والشياطين المطرودة من الرحمة.

كتب على هذا العشق أن يظل فكره خيالاً وحلمًا وأملاً وألا يلمس أرض الواقع أبدًا وألا يتحقق له النهاية السعيدة وهى الزواج الذى يتم بين كل رجل وامرأة من بنى البشر.

ما هى حكاية هذه المرأة؟ لماذا هى مرفوضة من رجل يحبها..؟ لماذا أحبها ثم هو يريد أن يبتعد عنها؟ هل هو رجل مريض..؟

●●●

** كثير من النساء أحبوا رجالاً لا يستطيعون الالتزام بارتباط دائم.. هذا رجل لديه مخاوف الالتزام.. يضطرب اضطرابًا شديدًا ويصاب بالحمى والهذيان والتصرفات المتناقضة إذا شعر أن هناك امرأة ترتب معه من أجل المستقبل.

هذا الرجل يسبب آلامًا شديدة للمرأة التى أحبته.. إننا إزاء مشكلة موجودة فى عقل رجل وبعيدة كل البعد عن المرأة ولكن اهتمامنا هنا لن يكون بكيفية علاج هذا الرجل بقدر ما هو من أجل مساعدة هذه المرأة ضحية هذا الرجل.

** قد يهرب هذا الرجل بعد أول لقاء، وقد يهرب بعد سنة أو بعد عشر سنوات أو قبل الزواج بأيام قليلة.. وقد يهرب بعد الزواج بأيام أو شهور أو قد يظل مترقبًا الفرص ليهرب حتى بعد سنوات من الزواج.

إن الخوف الشديد يدفع هذا الرجل أحيانًا إلى تخريب علاقة طويلة وجميلة . . إنه أبدًا لا يستطيع ولهذا فهو يهرب ويجرى بكل ما أوتى من قوة .

وهناك من القصص الغريبة حقاً التى تؤكد الطبيعة المرضية لهذه الحالة . . ومن أغربها قصة تلك الفتاة التى استأذن منها خطيبها أثناء جلوسهما فى مطعم للغذاء ليشترى علبة سجائر . . ذهب واختفى للأبد . . وهناك رجل آخر يختفى بعد عشر سنوات . .

** والسؤال الذى يطرح نفسه : هل هذا الرجل حين أحب هذه المرأة وبدأ علاقته معها ثم نبذها وهجرها فيما بعد . . هل كان يعرف طبيعة مرضه . . ؟ هل كان يعرف مقدمًا أن مصير هذه العلاقة إلى الفشل وأنه هو ذاته سيكون السبب فى ذلك؟

هل كان يعرف أنه كان يقول ما لا يعنى . . أى حين كان يقول لها -وبصدق- أنها حبه الأخير وأنه يتمنى الارتباط بها حتى نهاية العمر . . هل كان يعرف ويدرك أنه بمجرد استسلامها له وموافقتها سيولى لها ظهره . . ؟ هل كان يدرك كل ذلك شعورياً أم أن الأمر كان مخفياً فى اللاشعور أى العقل الباطن . . ؟

** إنه بمجرد أن يكون للعلاقة شكل ثابت ومستقر يوحى بأبديتها فإن مظاهر الاضطرابات تبدأ على هذا الرجل . . بمجرد أن تصبح العلاقة قوية فإن هذا الرجل يسلك سلوكًا بشكل غير منطقى بالمرة . . إنه يبدأ فى اختلاق الأعذار والبحث عن عيوب فى هذه المرأة تبرر سلوكه الشاذ وهو يعرف ومن أعمق أعماقه أنه إنما يجسد هذه العيوب من أجل إيجاد أعذار لابتعاده . .

** وهذه المرأة المسكينة تظل لآخر لحظة تبحث عن أخطاء ارتكبتها هى لتتحمل اللوم على اضطراب العلاقة، فبالرغم من سلوك الرجل غير السوى والشاذ إلا أنها مستعدة لتحمل مسئولية هذا الاضطراب الذى أصاب سلوكه . . إنها بذلك تبحث عن حل وعن علاج لعل الأمور تعود إلى ما كانت عليه . . إنها مخلصة فى إنقاذ حبها وهى تحب هذا الرجل حبّاً حقيقيّاً . . وهذا الرجل يحبها أيضًا حبّاً حقيقيّاً ويسعد بها ومعها ويتمنى أن تظل معه طوال عمره إلا أنه يشعر بالخطر حين تطلب منه الارتباط الرسمى .

فى تلك اللحظة يشعر أنه دخل المصيدة . . إنها مصيدة الحب الذى يحتم الارتباط الدائم . . حبه لها وحبها له . . هذا الرجل ينقلب إلى النقيض كلما نظر إلى حبيبته وشعر أنه إذا لم يهرب الآن فإنه سيظل فى المصيدة طوال حياته . . حينئذ يصاب بالذعر . . والنساء اللاتى وقعن فى حب رجال لديهن عقدة الالتزام يحكين نفس القصص .

** تقول سيدة : حينما يكون معى يكون رائعًا . . ثم يختفى ولا أسمع عنه لمدة أسابيع . . فإذا التقينا يكون باردًا وأظل أبذل جهدًا لاستعادته ويعود رائعًا كما كان . . ولكنه يعاود الاختفاء . .

** تقول أخرى : منذ أن اتخذنا قرار الارتباط كل شىء اضطرب فى علاقتنا . . حماسه فتر . . ابتعد عاطفيّاً . . شكوكه زادت . . نقده أصبح مؤلمًا .

** تقول فتاة: بعد أن تمت الخطوبة أصبح عصبياً، متقلب المزاج.. تزايدت مشاجراتنا وأصبحنا نختلف على كل شىء.. وبدأت أدرك أخيراً أنه هو الذى يختلق هذه المواقف لكى نختلف ونتصارع..

●●●

** ولنتتبع العلاقة من بدايتها.. هى بداية جميلة.. تدرك هى عن يقين، وبحس الأنثى الواعى، وبقلب المرأة التى تعرف الحب وتتلهف عليه، وبعقل ذكى أصقلته خبرة السنين، وبعين خارجية فاحصة مدققة، وبعين داخلية تستشير وتستلهم، تدرك أنها قابلت أروع إنسان لم تر من قبله ولن تر بعده.

أما هو فيشعر أنها حلم حياته وقد هبطت عليه من الجنة محملة بملائكية ورقة، ثم اغتسلت بطين الأرض وتعطرت بمياهها فاكتسبت شقاوة وخفة ومرحًا وذكاء فتحققت لها اكتمال الجمال الأنثوى.. ولم يتردد فى السماح لها باقتحام حياته: القلب والعقل وجدول الأيام.

من البداية كان الارتباط قوياً ناصعًا حاراً وعميقًا ولكن ليس ملزمًا وليس واعدًا بأى شىء.. انطلاق بلا حدود واستمتاع بنفحات حب قدرى ونشوى ذاهلة آخذة وتمنيات مخلصة أن يدوم الحب.. ليس إلا الحب..

** ومن شدة الحب يكون الخوف من الافتراق وتكون لوعة الفراق وآلام الاشتياق.. ويتجدد اللقاء وتعمق الأحاسيس ويقوى

الارتباط ويتيقنان من أبدية العلاقة فهى قدره وهو قدرها . . تقبل هى أكثر مما هو يقبل عليها . . ثم يقبل هو بمثل ما تقبل هى عليه . . ويحيطها بحبه واهتمامه وحنانه وأمانه فيشعرها بالأمان والطمأنينة وتستقر وتهنأ . . يقنعها . . يبهرها . . يبدو حساسًا وعاطفيًا ودافئًا وعميقًا وأمينًا . . وتشعر بقدر احتياجه لحبها بنفس قدر احتياجها لحبه . . وفى لحظة فرح يعلنها أنه يريد ارتباطًا أبديًا . . ويضعها على قائمة اهتماماته . . دائمًا يتحدث عن المستقبل وتحدثه عن أحلامها . . وحين يتكلم عن أحلامه يقول : نحن الاثنان ولا يقول أنا . . ينشغل بمشاكلها وأهلها وطموحها ويرى أن مستقبلها هو مستقبله . . كل ذلك تحت تأثير نشوى خمر الحب الذى يجرى فى دمائهما متصلاً بنهر لا ينضب .

** ويضعفان أمام بشريتهما فيهبطان حينًا من سماء الأحلام ويلامسان أرضًا لها جاذبية لا تقاوم تفرض استقامة الظهر وثبات الأرجل لينظرا إلى الأمام ويرتبا لغدهما . . فيتساءلان وماذا بعد . . ؟ ولا تكون إلا إجابة واحدة تفرضها شدة الحب وصدق المشاعر : نرتبط رسميًا . . نتزوج . .

. . هنا ينتابه الرعب . . ويحاول أن يطير بها ثانية إلى سماء الأحلام حيث لا جاذبية ولا زمان ولا مكان . . وتطير معه ولكن لا مفر من العودة إلى الأرض الصلبة . . فيهرب حينًا . . ويمرض حينًا . . ويراوغ حينًا . . ولكن فى النهاية عليه أن يواجه أمر الحب . . أن يواجه نفسه . . أن يتعامل مع قلبه . .

** تدريجياً يتراجع . . اهتمامه يقل . . يبعدها عن حياته . . يفرض حصاراً حول نفسه . . أهله . . عمله . . مناطق محرمة ممنوع عليها أن تجتازها . . كما يبتعد عن اهتماماتها . . يبتعد عن دائرة حياتها . . عواطفه ينتابها الفتور . . . يضع برنامجًا صارمًا لحياته ليست هى على قائمته ؛ إذ هى فى المرتبة الخامسة بعد عمله وأهله وأصدقائه واهتماماته الشخصية . . تصبح وكأنها عبء على حياته . . حين يجلس معها تكون بينهما مسافة مكانية ونفسية وتتكلم هى فيبدو أنه لا يسمعها ، تستغرقه أفكاره أو تغمض عيناه بالنعاس . . إنه نعاس عدم الاهتمام وكان من قبل نعاس الخدر اللذيذ والأمان والاسترخاء . . ويختلق الأعذار ويصطنع المشاكل والمعوقات التى تمنعه من لقائها . . وفجأة يختفى . . وفجأة يظهر .

وأخطر المراحل حين يستمع للناس عنها ويرصد معهم كل صفاتها السيئة ليخفف من وطأة سيطرتها على عواطفه . . إنه يريد أن يراها سيئة . . يريد أن يجد المبرر للهروب الكبير . . ولأول مرة ينتقدها . . يعترض على سلوكها ، ملبسها ، علاقاتها ، أسلوبها ، طريقة كلامها أو ضحكاتها . . ثم الأخطر أن يقارن بينها وبين أخريات وتخرج هى مهزومة فى هذه المقارنات . . ويصل سخفه المتعمد أو اللاشعورى إلى أقصى مداه حين يتحدث باحترام أو بإعجاب عن امرأة أخرى مردداً مزاياها ليؤكد بها عيوب حبيبته . .

** والنهاية لا تأتى أبدًا . . أقصد نهاية الحب وخاصة إذا كانت العلاقة قد استمرت طويلاً . . فالحب الحقيقى لا يموت . . يظل

باقيًا حتى بعد الموت . . لأنه حين يموت أحدهما فإن الآخر يموت من بعده وهو على حبه وهذا منتهى الحب . . ولكن قد ينفصلان . . يبتعدان أيامًا وشهورًا وسنين تأكل من العمر ولا تترك من إلا قليلاً يعيشانه فى حسرة وألم وذلك لأنه قرر الهروب من الارتباط الملزم . .

** يتغير تمامًا . . يقضى أقل الوقت معها ولا يكلف نفسه إعطاء مبررات لتأخره وتخلفه . . يخلف مواعيده ويغير خططه . . متقلب المزاج دائمًا .

إنه يقول شيئًا ويفعل شيئًا مناقضًا . . رسائله مزدوجة ونفس الرسالة تحمل معنين متناقضين . . يبتعد عاطفياً متعللا بكثرة العمل والإجهاد والمرض وعليها هى أن تفهم . . ولا يفعل أى شىء إيجابى على الإطلاق لعودة العلاقة إلى ما كانت عليه ولا يتحدث عن أى شىء يتعلق بالمستقبل . . ينتقدها . . يلومها . . يحملها مسئولية اضطراب العلاقة . . يختلق شكوكًا وظنونًا وأوهامًا ليس إليها ويستفزها لتثور وتنفعل بغضب لتسهم فى التدمير . . ويقرر مع نفسه أن يبتعد نهائيًا بل وينهى العلاقة إلى الأبد فيستريح ويذهب عنه الغم الذى كان يجثم على صدره . . ولكن بعد قليل ينتابه ألم من نوع آخر . .

ألم الفقد والفراق إذ يثب إلى بؤرة وعيه وصميم إحساسه حبه لها فيدرك أنه من المستحيل أن يتحقق له ما يريد بالابتعاد نهائياً عنها . . ويحاول مع نفسه مرات ومرات . . يحاول أن يبتعد ولكن

قلبه يعود به مرة أخرى . . ويدرك عبث ما يفعل . . يدرك استحالة الانفصال فهذا قدر ومصير . . ولذا فالستارة لا تنزل أبدًا على تلك الحكاية . . تظل النهاية معلقة . . لا هو تركها . . ولا هو تزوجها . . تركه لها موت، وزواجه بها موت . . والموت نوعان : بطىء ومفاجئ . . بطىء بمرض يائس يزحف تدريجيّاً، ومفاجئ كالجلوس على الكرسى الكهربائى . . تركها موت بطىء وزواجه منها موت بالجلوس على الكرسى الكهربائى . .

** إننا أمام إنسان مريض بالخوف . . مخاوف الارتباط . . مخاوف الالتزام . . وهى مثل أى مخاوف مرضية أخرى مثل الخوف من الأمراض أو الخوف من مواجهة الناس، أو الخوف من الأماكن المرتفعة أو الضيقة . . والخوف من الالتزام قريب الشبه من الخوف من الأماكن الضيقة كالمصعد أو السيارة .

الإنسان فى هذه الحالة يخاف من أن يغلق المكان عليه فلا يستطيع الخروج منه حين يريد . . يخاف ألا يجد من ينقذه حين يتعرض لأزمة أو حين يسيطر عليه الخوف والرعب وبذلك يتعرض لحرج شديد .

إنه حين يحتويه مكان مغلق يشعر بأنه داخل مصيدة كالفأر تمامًا وتتصاعد تدريجياً أعراض القلق الحاد من ارتعاش وعرق وضربات قلب عنيفة وجفاف بالحلق . . إنه الذعر بعينه . . إن مخاوف الارتباط الدائم هى نفسها مخاوف الأماكن الضيقة . . إن الارتباط الدائم بالنسبة لهذا الرجل معناه الاختناق . . ومثلما يصاب مريض

مخاوف الأماكن الضيقة والمغلقة بأعراض جسدية . . فإن مريض مخاوف الارتباط يصاب أيضًا بأعراض جسدية أهمها آلام الظهر وآلام الرقبة وتقلص العضلات وصعوبة الحركة .

إنها آلام مباغتة فجائية ولا تأتى له إلا فى حضور وتواجد حبيبته معه فتجلعه عاجزًا ومستسلمًا . . وقد تنتابه آلام المعدة وصعوبة التنفس والشعور بالبرودة الشديدة وعدم تحمل الجو البارد . . وقد يشعر بالدوخة والرغبة المستبدة فى النوم . . وهى كلها أعراض تكشف عن صراع مرير يدور حول نقطة معينة : الحين للاقتراب وفى نفس الوقت الرغبة الملحة فى الفرار . .

●● وأكثر ما يؤلم المرأة:

هو هذا التغيير الشامل العجيب . . التغير إلى النقيض . . من قمة الحب والاقتراب إلى قمة اللامبالاة والبرود والابتعاد . . ألمها عظيم لأنها تتصور أن الحب قادرو على قهر وهزيمة كل الصعوبات . . وتسأل نفسها : هل هذا الرجل كان يكذب . . ؟ هل له شخصيتان . . ؟ لماذا تحول من رجل سعيد ومتحمس ومتألق ومستقر نفسيّاً وواثق بنفسه ورقيق وحنون إلى إنسان قلق متقلب مزاجيّاً مشحون بالانفعالات الغاضبة دائم النقد والتجريح . . ؟

هل ما زال يحبنى كما كان أم هو يكرهنى . . ؟ أم هو مزيج الحب والكراهية . . ؟ هل فعلت شيئًا أغضبه . . ؟ هل ينسى عمرنا بهذه السهولة . . ؟ هل يستطيع فعلاً أن يبتعد عنى للأبد . . ؟

إننى أموت لو تركنى فهل يموت هو أيضًا إذا تركته . . ؟ لو علقونى على مشنقة لا أستطيع تجريحه فلماذا ينتقدنى ويجرحنى

ويلومنى وكأنى أسوأ إنسانة عرفها . . ؟ لماذا يقارن الآن بينى وبين امرأة أخرى . . ؟ فى الحب لا مقارنة والحبيب لا يقارن فهو فى القمة بالنسبة لى . . فلماذا أنزلنى أنا من القمة التى رفعنى إليها . . ؟

●●●

** ولكن الحقيقة أن هذا الرجل يشعر بالتمزق . . من ناحية هو يحب هذه المرأة . . ومن ناحية أخرى يصرعه قلق الالتزام والارتباط . . يعطيها ظهره وقلبه معها . . إن الأمر يصبح بالنسبة له كالوسواس . . فكرة تسيطر على ذهنه ضد إرادته كل الوقت ولا يستطيع الهروب منها . . إنها تداهمه كل الوقت وتطحنه . . وفى أثناء نومه أيضًا تزوره الكوابيس . . وكلما كانت بعيدة فإن مشاعره تكون طيبة نحوها لأنه يكون فى مأمن، وإذا بدأت فى الاقتراب شعر بالخطر . . خطر الموت الذى يهدد حياته .

وحين يكون معها وتقترب أكثر وأكثر وأكثر تنتابه فكرة جنونية بأن يقذف بنفسه من النافذة التى تعلو على الأرض بعدة أدوار . . يكون الموت أرحم من الاقتراب الخانق . . ثم إذا أبعدها عنه واختفى من ناظريها شعر بالذنب والحنين . .

** وحين يشتد الحصار فليس أمامه سوى الهروب أو القتال . . وهذا ما يحدث إذا تعرض أى إنسان للخطر . . إما أن يهرب وإما أن يقاتل . . هكذا يفعل الحيوان والإنسان . . إنها الطبيعة التى تحرك أجهزة الدفاع والمناعة داخل الإنسان والحيوان للحفاظ على الحياة واستمرارها . . إذا لم تتحرك للحفاظ على الحياة واستمرارها . . إذا لم تتحرك هذه الأجهزة بالقدر الكافى فإن النهاية هى أن يتحطم الإنسان ويفنى .

والرجل حين يدخل مصيدة الارتباط الدائم وتداهمه مخاوف الالتزام يكون أمام أحد أمرين : إما أن يجد أسرع وسيلة للهروب أو يبقى ويناضل ويحارب ويصارع المرأة التى كانت السبب فى دخوله المصيدة .

بعض الرجال يفعلون كلا الأمرين الهروب والقتال معًا . . ولكن لماذا يهرب البعض ولماذا يقاتل البعض الآخر . . ؟

إن الأمر يتوقف على مدى حساسية جهاز الإنذار داخل الشخص . . وليس مثيراً للدهشة أن هذا الرجل لا يحاول الهروب ولا يقاتل إذا كانت العلاقة سيئة . . ولكن تبدأ المتاعب ومحاولات الهروب والقتال إذا كانت العلاقة جيدة . . كلما اقتربت هى شعر بالاختناق ، وكلما كانت أكثر حباً وحنانًا كلما صعب عليه أن يجد مبررًا للهروب .

جهاز الإنذار يدق بعنف إذا كانت العلاقة طيبة وتظهر أعراض القلق على السطح . . ولهذا تلاحظ المرأة أشياء غريبة . . إنه فى نهاية كل رحلة سعيدة يختلق شجارًا أو بعد أن تقدم له هدية فى عيد ميلاده . . دائمًا يربط الأحداث السعيدة بمرارة . . وهذا يجعل المرأة فى حيرة شديدة . . ولا تملك فى النهاية إلا أن تقول بأسى : أنا أحب رجلاً لا يحبنى . .

●●●

إنه رجل منقسم على نفسه . . رجل له عقلان . . جزء منه يرتبط بالمرأة ويحبها . . وجزء يختنق بالارتباط . . ضحيته امرأة أحبته . . وهو ضحية نفسه . . والمرأة لأنها لا تستطيع أن تتصور حياتها بعيدًا

عنه فإنها ترفض أن تأخذ قرار الانفصال حتى يبدأ فى الإساءة إليها . . وفى هذه اللحظة تكون فى غاية التشويش . . والحيرة والاضطراب .

تشعر وكأنها مشلولة تمامًا وعاجزة عن الحركة . . ومما يزيد من حيرتها أنه لا يستطيع أن يتركها ولا يستطيع أن يستمر معها . . إنه لا يستطيع الاختيار . . إنه اختار ألا يختار . . يتأرجح كالبندول . .

تلاحظ المرأة الآتى :

- يقول شيئًا ويفعل نقيضه .

- يغير خططه .

- يغير رأيه . .

- لا يفى بوعوده . .

- يخطو خطوة واحدة للأمام وخطوتين للخلف . .

** إنه يريد العلاقة ولكنه يريد مسافة بينه وبينها يشعر فيها بالأمان بلا التزام ولهذا تستهويه المرأة التى تعيش فى مكان بعيد عن المكان الذى يقيم فيه ، ولذا لا يلتقيان كثيراً . . كلما ابتعدت بينهما المسافة وكلما قلت لقاءاتهما . . استمرت وقويت العلاقة . . ولذا قد جاءت وعاشت بجواره اضطربت العلاقة . .

** والمرأة تكون فى وضع حرج جداً . . إنها لا تريد أن تلح وتطلب وتشكو وتحقق . . لا تريد أن تبدو مسيطرة ولهذا تسكت وترضى وتقبل بالحدود التى يضعها وبالمسافة التى يفرضها . .

** بعض الرجال يمضون فى الطريق حتى ليلة الزفاف. قبل أن يصيبهم الذعر. . وقد يبدأ الذعر بعد الزواج مباشرة. . هذا الرجل لا يكره زوجته ولكنه يكره مصيدة الزواج، ويظل يفكر فى إيجاد المبرر الذى يسمح له فى يوم من الأيام أن يبتعد عنها فهو يشعر أن الاستمرار مستحيل، ولذا يبدأ فى التفتيش عن عيوب زوجية ليفسد العلاقة.

وكلما حاولت المرأة أن تكون أفضل وأن تحرص ألا يضايقه شىء كلما زاد حنقه ورفضه وغضبه. . وحنقه يطغى على إحساسه بالذنب فخوفه عظيم وقلقه أفدح. .

** هو يريد أن يترك زوجته ولكنه لا يعرف كيف يفعل ذلك. . قد يكون الزواج ناجحًا بكل المقاييس المعروفة وهذا ما يدعوه إلى مزيد من القلق، فبدلاً من أن يكون سعيداً بزوجته الصالحة المخلصة المحبة فإنه يصبح أكثر شعوراً بالتعاسة. . يحاربها بدون أسباب، يتشاجر معها بدون أن تدرى لماذا. . يثور من أجل أخطاء هى غير مسئولة عنها. . حين يشعر أن عليه أن يبقى معها مدى حياته يتيقن أن هذه المرأة لا تصلح له.

قد يرى بعقله أن ذلك غير صحيح ولكنه لا يستطيع السيطرة على تلك المشاعر السلبية الخاطئة. .

وقد يلجأ الرجل إلى أعنف الوسائل لتحطيم زوجته والإجهاز عليها نفسياً من إهانات وإساءة. . وقد يلجأ إلى امرأة أخرى يحطم بها زواجه. . إنها أفضل وسيلة وأعنف طريقة لقتل زواج أى لقتل زوجة. . يلتقى الرجل بامرأة غير زوجته ويوهمها بأنه قد وقع فى حبها وأنه لا يحب زوجته. . هو يلجأ للمرأة الجديدة ليستعملها

ليخفف من قلقه ومخاوفه. . وإذا صدقته المرأة الثانية وأبدت اهتمامًا وبدأت ترتب حياتها على أن يترك زوجته ليرتبط بها فسرعان ما يتركها هى أيضًا. .

** وقد تظن المرأة أن الرجل الذي أحبته وأحبها والذى يعانى من مخاوف الالتزام سوف يتحسن بعد الزواج. . إنها قادرة على تغييره ولكنه الحقيقة أن هذا الرجل لن يهدأ أبدًا. . سيظل يبحث عن طوق النجاة. . قد يعترف أن زوجته تحبه وتخلص له، تتفانى فى إرضائه وإسعاده، ربة بيت ممتازة ومطيعة وأم متفانية وتسعد أى رجل. . ولكن كل خطوة تخطوها نحوه يشعر وكأنه مسمار يدق فى نعشه. . إلى هذه الدرجة المأساوية يشعر هذا الزوج.

•••

ومشكلة المرأة التى تفكر فى الزواج تكون أصعب لأنها ستضيع وقتًا طويلاً من عمرها انتظارًا لهذا الزواج لكى يتحقق بينما هو يماطل ويتهرب. . وحتى إذا انتصرت على مخاوفه وتزوجته فإن المشاكل ستبدأ بعد الزواج فورًا. . هذا الرجل تزوجته هذه المرأة وليس هو الذى تزوجها. . هى التى سعت إليه وضغطت عليه وحاصرته وفرضت عليه الزواج. . إذا لم تكن خططت لزواجها منه فإنه ما كان سيتزوج على الإطلاق.

أما المرأة التى ليس لها طموحات زواج فإن مشاكلها تكون أقل حين تكتفى بالحب. . وقد تخشى على حبها أن يفسده الزواج، وقد تخشى إن هى حاصرته برغبتها فى الزواج يهرب منها. . ولذا تفضل استمرار الحب وتفضل استمراره فى حياتها وتتنازل ولو

مؤقتًا عن رغبتها الحارة فى الزواج بمن تحب . . فهذا هو حلم كل امرأة وخاصة المرأة التى تحب . . غاية المرأة التى تحب أن تتزوج الرجل الذي تحبه ، ولكنها قد تضحى بهذه الرغبة أو تؤجلها إذا كان ذلك يهدد حبها . . إن المرأة تفعل أى شيء ، تضحى بأى شيء إلا التنازل عن حبها وإلا التضحية بحبيبها .

** ولهذا أقول للمرأة احذرى من الوقوع مع رجل لديه عقدة الخوف من الزواج إذا كنت تريدين الزواج :

* فى البداية هو رومانسى غير واقعى . . أى كلام شاعرى جميل يخطر على باله يقوله . . يفعل أى شيء لينال إعجابك واهتمامك وحبك . . وهو فى حقيقة الأمر لا يفكر إلا فى اليوم . . ليست له خطط بعيدة المدى ولا يفكر فى عواقب وعوده التى يلقى بها جزافًا . . هو فقط يريدك أن تستجيبى وأن تصدقيه . . ولكن أنصحك بأن يزداد شكك وتوجسك وحيطتك كلما أقبل نحوك مندفعًا .

يجب أن تطلقى إشارات التحذير من داخلك إذا رأيت رجلاً مقبلاً بحماس وعاطفة فياضة منذ البداية وقبل أن تتوثق العلاقة . . لا تستسلمى لإطرائه ولا يسيل لعابك لمديحه كأن يبالغ فى وصف جمالك أو كيف تبدين صغيرة فى السن أو كيف أنه وقع في غرامك منذ أول لقاء وأنه يتمنى أن يرتبط بك طوال العمر ولا يتخيل حياته بدونك .

** كونى واقعية وحاولى أن تبطئى من إيقاع تقدم العلاقة . . تحكمى فى السرعة لأنك فى البداية تملكين زمام التحكم . . استمعى إلى مشاعرك وغريزتك ولا تجعليه يجرك إلى عالم الأحلام .

* وهو فى البداية يجعلك تشعرين أنك شىء خاص جداً بالنسبة له ولا يوجد أى تحفظات عنك . . يجعلك تشعرين أنك مقبولة تمامًا . . ولكن احذرى . . أن تكونى شيئًا خاصّاً جداً بالنسبة له فهذا لا يعنى أن تكونى شيئًا دائمًا . . وإذا كان يقبلك اليوم بدون تحفظات فغداً سيتغير الموقف وسيرى عيوبك والتى قد يعايرك بها مثل تواضع مستواك الاجتماعى أو التعليمى أو الجمالى أو الاقتصادى أو أنك تكبرينه فى السن . . إنه لن يكون رفيقًا بك حين يقرر الهروب . . سيكون فى منتهى القسوة معك .

* وهو يحاول فى البداية أيضًا أن يوحى دائمًا أنه يسعى بصدق إلى علاقة ثابتة مستقرة معك . . علاقة لها مستقبل وليس مجرد علاقة سطحية عابرة . . ولكن فى الحقيقة هو يعبر عن أشياء خيالية وأمنياته التى لا يمكن تحقيقها بسبب عقدة الخوف التى عنده .

ولذا أنصحك ألا تستسلمى لخيالاته وأحلامه . . إن الرجل الذى يهدف حقيقة إلى تكوين أسرة لا يبدأ حديثه من هذه النقطة .

* وحين تتوقف العلاقة وتفكرين جدياً فى قبوله شريكًا لحياته وحين تطلعينه على استعدادك فإنه يستيقظ من أحلامه . . وكلما تقدم خطوة استولى عليه مزيد من الخوف . . يشعر وكأنه مساق إلى الكرسى الكهربائى . . قد تتطور العلاقة إلى الشكل الرسمى مثل خطوبة أو عقد القران ولكنها تقف طويلاً عند هذا الحد . . ومن هنا يبدأ هو لا شعورياً فى جذب العلاقة إلى الخلف بدلاً من دفعها للأمام . . يفعل كل شىء ممكن من أجل إفساد العلاقة .

ولكن للأسف أنت لن تتراجعى بسهولة عند هذه المرحلة وخاصة إذا كنت تحبينه . . فأنت ما زلت تثقين به ، وفى الوقت الذى بدأ يضخم فيه عيوبك فإنك تقومين بالتقليل من شأن عيوبه ونقائصه ، وتتغاضين عن كل شىء . . ولكن أنت فى مرحلة أصبح ميزان القوى مخالفًا لما كان عليه من قبل عند بدء العلاقة .

أنت الآن تثقين به بينما الشك بدأ يتسرب إلى نفسه . . وأنت تتصورين أن قبولك التام له يجعله أكثر طمأنينة ، ولكن على العكس فإن ذلك يجعله يشعر بالخوف ، فهو الآن داخل مصيدة الالتزام والارتباط . . أنت تفعلين أى شىء من أجل استقرار واستمرار وثبات العلاقة بينما هو أصبح مخربًا ومحطمًا للعلاقة بشكل واضح . . إنه الآن ينسحب للوراء . .

* وفجأة يختفى بطريقة غير إنسانية أو يدفعك إلى حافة الجنون لتنهى العلاقة بيديك ، وقد لا تستطيعين ذلك إذا كنت تحبينه . . وقد يعاود الظهور مرة ثانية فى حياتك ويكون لديك الاستعداد أن تغفرى له كل ما تقدم من ذنبه . . وقد تنجحين فى الزواج منه . . ولكن الزواج سيخنقه أكثر .

قد يحدث الطلاق سريعًا وبنفس الطريقة أى قد يطلقك فجأة وبأسلوب غير إنسانى ، أو قد تستمر الحياة الزوجية سنوات ولكن بدون استقرار . . إنه زواج قد حُرم من الأمان . . وما قيمة زواج بدون أمان ! !

* وقد تسألين أما من علاج لهذا الرجل . . . ؟

●●●

*أولاً أريد أن أؤكد لك أنه يعانى أكثر لأنه يحبك، ولكنه لا يستطيع الاقتراب منك وأيضًا لا يستطيع الابتعاد عنك. . إنه يريد أن يحتفظ بالعلاقة بشرط أن يكون هناك مسافة. . هذه المسافة قد تضعف يومًا بعد يوم ولكن ببطء شديد جداً وبدون أن يدفعه أحد من ظهره أو يجذبه من يده.

إن هذا الرجل ينتابه الذعر إذا شعر أنه مدفوع أو مسحوب أو محاصر ويحس بالراحة والأمان إذا شعر أنه يتحرك بحريته. . ولذا إذا أردت العلاقة تستمر وأن تنتهى إلى الارتباط الدائم بالزواج فلا تضغطى عليه. . لا توجهى إليه أوامر. . لا تتحدثى إليه بطريقة مباشرة. . لا تهدديه ولا تفرضى تاريخًا محدداً ينتهى عنده كل شىء إذا لم يتحقق حلمك. . دعيه يتقدم هو نحوك بطريقته الخاصة وبأسلوبه الذى يرتاح إليه. . دعى الحب يتغلغل فى أعماق قلبه. .

●●●

* هذا الرجل رومانسى وعاطفى وخيالى وحساس. . ولا يغلبه إلا الحب ولا يتحكم فيه إلا قلبه. . إنه يزن الأمور بعواطفه ويحكم على الأشياء بمشاعره ويقيم علاقاته بالناس على أساس الوجدان... وقد يتخذ أصعب القرارات تحت تأثير عواطفه وفى نفس الوقت يعجز عن اتخاذ أبسط القرارات باستعمال العقل والمنطق. . ولهذا أنصحك بالاعتماد على قلبه وعواطفه ومشاعره لا على المنطق والعقل والحسابات.

دعى الحب يتغلغل فى أعماق قلبه وهذا يحتاج لوقت طويل مع هذه النوعية من الرجال. . دعيه يقتنع بك بقلبه لا بعقله. .

بحسابات العقل سيتردد أما بحسابات القلب فسيتمسك بك مدى الحياة . . إذا وصل إلى منتهى الحب فلن يتركك أبداً . .

سيخاف أن يفقدك . . سيخاف عليك . . سيشغله أمر صحتك وحياتك . . ستصبح حياتك أغلى من حياته وستحتلين رقم «١» فى حياته . . ستصبحين كل شىء وأهم شىء وقبل أى شىء آخر فى حياته . . أى قبل نفسه .

إذا وصل إلى هذه المرحلة سيفعل أى شىء من أجل الحفاظ عليك وعلى استمرار العلاقة حتى وإن تزوجك . . سيكون الزواج بالنسبة له تضحية كبيرة ولكنه لن يتردد إذا كان ذلك هو الوسيلة الوحيدة للحفاظ عليك .

دعى قلبه يقوده إليك . . ودعى عواطفه تهديه إلى دربك . . وهذه مرحلة لا يصل إليها إلا بعد وقت، وإلا بعد أن تبذلى أنت مجهوداً كبيراً مضنياً ومتواصلاً .

هو يريد أولاً أن يشعر أنك تحبينه لذاته لا للزواج منه، وليس لما له أو مركزه أو لأى ميزة أخرى . . إنه طفل مدلل يريد أن يعيش نفس التجربة التى عاشها مع أمه التى أحبته حباً شديداً وفضلته على أبنائها وزوجها، وكان الرجل الأوحد فى حياتها حظى بالحب غير المشروط والعطاء غير المحدود والتقدير الرفيع والحنان الدافق .

إنه لا يرضى بأقل من ذلك من المرأة التى يحبها . . ثم إنه يريدها خاضعة له مستسلمة لأوامره وأهوائه وتقلباته . . فهو يخاف المرأة العنيدة القوية المسيطرة، فهى تهدد أمنه وتفزعه وتسلبه المشاعر

الذكرية الطبيعية تجاه الأنثى . . فهو له تصور خاص عن الأنثى ولا يمكن أن يستشعر رجولته إلا إذا تحقق هذا التصور فى امرأة معينة . .

●●●

** وهذا الرجل أيضًا يعانى القلق والخوف والتردد . . إنها مشاكل اكتسبها منذ طفولته . . فهو لم يكن طفلاً جريئًا، كان أميل إلى الانطوائية والانغلاق والتأمل الذاتى، وكانت اهتماماته فردية مثل القراءة والاجتهاد الدراسى أو حب الفنون . . لم يكن له أصدقاء كثيرون وابتعد عن الجنس الآخر فى الوقت الذى كان من فى مثل عمره ينجذبون انجذابًا شديدًا للفتيات . . وربما لم يقم علاقة واحدة لا فى فترة مراهقته ولا فى مطلع شبابه، وقد تكونين أنت المرأة الأولى فى حياته .

والأب عادة قاسٍ والأم حنونة ولذا يلتصق الولد بأمه أكثر من التصاقه بأبيه . . ونستطيع أن نلمح بعض جوانب المشكلة الأوديبية فى هذا الرجل فقد عاش طفولته وهو بعيد عاطفياً عن أبيه وملتصق عاطفياً وإنسانياً بأمه . . ولهذا فإن اهتماماته بالجنس الآخر تكون محدودة جداً أو قد تكون معدومة ويكون ميله الجنسى للمرأة فاترًا، فهو لا يسعى إطلاقًا للعلاقات الجنسية ولا تشغله فى مراهقته أو فى بداية شبابه وإنما يتسامى بالاهتمام الدينى أو العلمى أو الثقافى الفنى . . ويحاول أن يكرر نموذج العلاقة بينه وبين أمه فى علاقاته بالآخرين من الرجال والنساء سواء فى مجال الصداقة أو الزمالة . . وكل ذلك أكسبه التردد والوسوسة وخاصة فى مجال العلاقات الإنسانية فهو لا يثق بسهولة ويحتاج لوقت طويل لإقامة

علاقة لابد أن يستوثق من صدق مشاعر الطرف الآخر، ولا يظهر عواطفه بسهولة وإنما يبدو باردًا متحفظًا غير مقبل وغير متحمس، كما يجب أن يحمل الآخرون عبء المحافظة على العلاقة وتغذيتها وتدعيمها واستمرارها. . لا يجب أن يبذل مجهودًا فى علاقة ما دامت عواطفه ما زالت حيادية. . أما إذا تورط عاطفياً فإنه يعطى بسخاء ويظهر اهتمامًا لا حدود له.

هنا يزول تردده وتتبدد مخاوفه وتنعدم وساوسه. . والحب عنده هو الطمأنينة. . هكذا رضع طمأنينة الحب من أمه، ولهذا فأى نموذج مخالف لنموذج العلاقة مع أمه هو نموذج مرفوض، وأى امرأة لا تشبه أمه فى قدر عطائها وحبها غير المشروط وكرمها وسخائها وضعفها واستسلامها وطيبتها فهى امرأة تفشل فى أن تخترق جدران الصلب وعواطفه الباردة وقلبه المغلق. .

●●●

** ولأنه أمضى وقتًا طويلاً من حياته وحيدًا فهو لا يحب الاقتراب الشديد من أحد. . يكره الزحام ويكره الأماكن المغلقة. . يحب أن تكون بينه وبين الناس مسافة. . إن الاقتراب الشديد يثير مخاوفه وقلقه، والحصار يفزعه، والمحاسبة تدفع بالضيق إلى صدره، والنقد يحرك فى داخله الغضب.

إنه يحب الحرية والانطلاق وعدم تحمل مسئولية الآخرين (إلا أحباءه) . . ولذا فإن فكرة الارتباط الدائم بإنسانة واحدة تقلقه، أما فكرة الزواج فتصيبه بالرعب.

ومن المستحيل أن يتزوج لمجرد الزواج . . الدافع الأوحد لزواجه -أن يتزوج- هو الحب الشديد . . وإذا اضطر للزواج مرغمًا فهو زوج غير سعيد ولا يبذل جهدًا لإسعاد زوجته . . وإذا فشل زواجه الأول فإنه من المستحيل أن يتزوج ثانية

إذن الدون جوانية ليست من صفاته ، والتعددية ليست من سماته . . فهو لا يحب طوال حياته -الحب الحقيقى- إلا مرة واحدة أو مرتين على الأكثر فى الأحوال النادرة ، ولا يمكن أن تكون له إلا زوجة واحدة في حياته . . من أصعب وأشق الأشياء فى الحياة عنده هو الزواج . . ولذا فهى تجربة لا يمكن أن تتكرر .

احرصى على أن تكون بينك وبينه مسافة . . لا تخنقى أنفاسه . . لا تكونى رقيبة على كل دقائق حياته . . فلتكن له حياته الخاصة ولتكن له خصوصياته واطمئنى فهو رجل ليس له اهتمامات نسائية وميله للجنس الآخر محدود جداً ولكنه فقط يحب الحرية . . إذا شعر معك بحريته اطمأن لك أكثر ، واقترب منك أكثر ووثق بك أكثر وذلك سوف يساعده على التخلص من قلقه ومخاوفه ووساوسه . .

●●●

** وهو رجل حساس للألم الجسدى والألم النفسى . . يكره القسوة والعنف والألم والإيذاء . . ولذلك لا تكونى مصدرًا لأى آلام فى حياته ، فإن ذلك سوف يبعده عنك فورًا . . فالمرأة فى تصوره هى الوداعة وهى البلسم . . ولذلك فلتكن يدك حانية وبسمتك شافية . . إنه رجل يحتاج إلى التناول الرقيق . . وجسده يتألم بسرعة إذا شعر بالضيق أو الضغط أو الحصار .

وآلام جسده هى وسيلته للابتعاد . . فهو إذا أراد أن يبتعد عنك أو أن يتحاشاك فإنه يستشعر الآلام فى جسده لتقف ادعاءً . . إنها آلام الرفض .

أما إذا تعرض للحزن فإن حزنه يكون شديدًا ينال من نفسه ومن جسده أيضًا . . ولا تحزنه إلا الأشياء المرتبطة بالعواطف وبعلاقاته بالناس .

إن جراحه عاطفية وليس لأسباب مادية . . وحزنه يطول ، ولذا لا بد أن تدعى له وقتًا كبيرًا ليسترد نفسه وليسترد ثقته .

وهذه عمومًا هى سمة الإنسان المتردد . . لا يحب بسهولة ويتردد ولكن إذا أحب فبعمق . . لا يحزن بسهولة ولكن إذا حزن فبعمق . . لا ينفض قلبه من علاقة بسهولة ولكن إذا فعل فللأبد . .

•••

** إنه نموذج إنسانى خاص يحتاج إلى الفهم لكى تستقيم العلاقة معه ثم تنتهى نهاية سعيدة ثم لكى تستقيم من بعد ذلك الحياة معه . .

** إن أهم مشكلة فى شخصية هذا الرجل هى الخوف . . ولذا مطلوب من المرأة التى تحبه أن تعرف الكثير عن سيكولوجية الخوف . . والخوف من حشرة صغيرة غير ضارة كالنملة قد يذبح رجل له قلب أسد .

وهناك طريقتان لعلاج الخوف المرضى : التسلل برفق أو الاقتحام المباغت كفيضان أو كبركان حتى الموت . . فالرجل الذى يخاف من نملة لا بد أن نجعله يحب النملة . . قصه حب تنمو تدريجياً وبرفق

وبدون أن يدرى . . قصة حب جوهرها الشعور بالأمان ولا يوجد ما هو أروع من هذا الشعور فى أى علاقة إنسانية .

والحب هو أعظم مصدر للأمان . . والأمان هو أحد الطرق التى تقود إلى الحب . . هذا الرجل يجب أن يحب النملة حتى يستطيع أن يواجهها ويتعايش معها . . وحتى يستطيع أن يقترب منها وأن يحملها بين يديه وأن يبذر فى طريقها السكر ويكشف لها طبق العسل . . هذا هو التسلل برفق، أما الاقتحام المباغت فهو أن نطلق ألف نملة ما بين جسده وملابسه . . فإما أن يشفى وإما أن يموت . . وفى مجال العواطف لا يجدى الاقتحام المباغت، ولا يفيد فيضان الاهتمام . . وإنما هو التسلل برفق الذى يذيب جبال الثلج التى جمدها الخوف . . جبال الثلج لا تذوب إلا ببطء، بالصبر وبالإصرار، وبدفء الحب الذي يتسلل دون أن يلحظه أحد . . شعاع تلو شعاع . . زفرة تلو زفرة . . لمسة تلو لمسة . . حتى إذا انقشع تمامًا وجد الرجل نفسه وقد وقر الأمان فى قلبه واستقرت الطمأنينة فى نفسه . . وإذا خوفه ينقلب ويتحول إلى شىء آخر . . إنه الآن يخاف أن يفقد هذا الحب العظيم .

وتلك هى براعة المرأة المحبة العظيمة . . أنه لم يعد يحبها فقط إنما هو يحب حبها . . ويحب حبه لها . . وبالتالى فإنه إذا فقد هذا الحب فقد حياته . . وإذا فقد هذا الحب فقدها هى .

إذن لا سبيل للحفاظ على هذا الحب إلا أن يكونا معًا . . أن يتشبث بها . . أن يقيم نفسه راعيًا لها لكى يحافظ على حياتها واستمرارها ولا يهدده شىء قد تصوره احتمال انتهاء حياتها . .

عند هذه المرحلة تنقلب الموازين إلى صالح المرأة المحبة . . إنها استبدلت خوفه منها بخوفه عليها . . فهى مصدر هذا الحب العظيم الذى لا يستطيع أن يستغنى عنه فهو يموت إذا فقد هذا الحب . . وهذا هو الحب الحقيقى . . فى الحب الحقيقى يقلق الإنسان على فقد الحب . . الحب الذي يعطيه له حبيبه . . التهديد هنا هو تهديد الذات بفقدان حب الحبيب .

فالإنسان فى حالة الحب الحقيقى يحب نفسه من خلال حب حبيبه له . . ذات الإنسان تتأكد من خلال هذا الحب .

إذن فقد هذا الحب هو فقد للذات . . هناك تهديد بفقد الذات . . إنه تهديد بالزوال ، أى الضياع الكامل والفناء لأن الحب الحقيقى يحقق للإنسان إحساسًا بالوجود الحقيقى فى الحياة . . معنى الوجود والاستمرار .

إن ضياع الحب هو الفناء والزوال واللاشيء . . ولهذا ليس غريبًا أن يموت إنسان بعد موت حبيبه . . وليس غريبًا أن يضحى الإنسان حتى بحياته من أجل حبيبه . . ولذا فإن القوة العظمى التى تحمى الحياة من الفناء هى الحب . .

●●●

** علاج هذا الرجل يا سيدتى هو التسلل برفق ، حتى يحب حبك ، وحينئذ سيكون حريصًا أن تكونى معه فى كل لحظة من حياته : فى عينه وفى قلبه وفى فكره ، وستكون أعظم أمنية أن تكونى شريكة حياته . . مبروك . .

***

الختام

إذا هبطت الملائكة على الأرض لتعيش بيننا فسيكون هناك جنس ثالث غير الرجل والمرأة. وبالطبع ستكون له مشاكله المرتبطة بحياته على الأرض. . وإذا كان حقاً كما يتصور بعض الناس أن الجن والعفاريت تعيش بيننا دون أن نراهم فلا بد أن لهم أيضًا مشاكلهم والتى لا تنفصل عن مشاكل الكائنات التى تسكن الأرض.

** ولكن لأنه ليس لنا خبرة بعالم الملائكة والجن والعفاريت فإنه لن يمكننا أن نتعرف على طبيعة مشاكلهم وأسبابها. . والمقصود بالخبرة هنا ليس خبرة المعايشة ولكن خبرة التوحد والانتماء. . فأنت تشعر بمشاكل إنسان آخر لأنك إنسان وهذا هو معنى التوحد والانتماء. . فأنت منتمٍ لعالم البشر وأنت تتوحد مع أخيك الإنسان.

** وبالرغم من بشرية المرأة وأنها هى الحبيبة والأم والزوجة والأخت والابنة فإن مشاكلها فى بعض الأحيان تبدو مستعصية على الفهم. . ليس فهم الرجال وحدهم ولكن فهم النساء أيضًا. . فالمرأة قد لا تستطيع أن تفهم المرأة.

وهكذا أجمع العلماء والحكماء والفلاسفة والأدباء منذ أقدم العصور. . ولهذا فالتصدى لهذا الموضوع أمر محفوف بالمخاطر

رغم الاستعانة بالرصيد العلمى المتراكم وكذلك الاستعانة بالخبرة المهنية والخبرة الشخصية .

ولأن المرأة تنطوى على ضعف فى مجالات معينة يقوى فيها الرجل ، وهى أيضًا تقوى فى مجالات أخرى يضعف فيها الرجل . . إلا أن تناسبت مالات قوتها ، وانصرفت عن دورها وقفزت إلى حدود الرجل لتضعف من قوته لتحظى بتفوق نسبى فى مناطق ضعفها . . وهذا يحدث من بدء الخليقة وبذلك ترسب لديها رصيد هائل من المتناقضات تجعلها تبدو ذات وجهين .

وهذا انعكس على أسلوب تفكيرها ومشاعرها وسلوكها . . انعكس على علاقتها بالمرأة ثم علاقتها بالرجل ثم علاقتها بأطفالها وكذلك علاقتها بالعالم .

** إذن الحديث عن المرأة لا ينفصل وأيضًا الحديث عن الرجل . . لأنه لا امرأة بدون رجل ولا رجل بدون امرأة . . شطران فى ثنائية من برغم حنين كل شطر فى الاندماج ، والانصهار والتوحد والذوبان . . إلا أن كلا منهما يناضل من أجل الاستقلال والتفرد والشعور بالذات المنفصل . . وهذا هو أصل الصراع فى الحياة .

دكتور

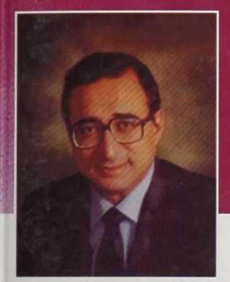
عادل صادق

***

الفهرس



امرأة في محنة



الدكتور عادل صادق في سطور

- ولد الدكتور عادل صادق في التاسع من أكتوبر عام ١٩٤٣ بمحافظة القاهرة، وكان والده يعمل ضابطاً بالجيش المصري.

- كان ترتيبه الأول وتبعه ستة من الأشقاء ، توفيت إحداهم في طفولتها تاركة ذكري أليمة في الأسرة.

- التحق بمدرسة المنيرة وأظهر التزاماً وحباً لدراسته ووداعة وعطاء تجاه قرنائه، مما أثار إعجاب وتقدير المحيطين به في هذه السن المبكرة.. ثم التحق بكلية الطب بناء علي رغبه والده - حيث كان يرغب في دراسة الأدب والفن والموسيقي - ولكنه بالرغم من ذلك أظهر تفوقاً واضحا، فقد كان يؤمن أن علي الإنسان أن يقوم بواجباته ومسئولياته علي أكمل وجه.
وأثناء الدراسة، أهلته شخصيته الكاريزمية والقيادية لأن يكون رئيساً لإتحاد الطلبة.

- تزوج عام ١٩٧٠ من زميلته في الدراسة بعد قصة حب طويلة، وأثمر هذا الزواج عن نجله الدكتور هشام ثم كريمته لينا.. وكان لأبنائه نعم القدوة والمثل الصالح، ولم يشغله نجاحه وعمله عن الاهتمام بأدق تفاصيل حياتهم وتوجيههم.

- سافر إلي إنجلترا عام ١٩٧٣ للدراسة، واستمر في تحقيق إنجازات علمية متواصلة حتى علم بمرض والده - الذي أقعده - فقرر العودة إلي مصر واعتبرها مشيئة الله في أن يبدأ مشواره في بلاده.

Design By Abdul Rahman Magdy



دار الصحوة للنشر و
48 شارع مجلس الأمة -
تليفون وفاكس 594 43 9
بريد إليكتروني
lsahoh@gmail.com